مخطوطة مسرحية «أنجومار»

تعريب: مصطفى ممتاز

مثَّلتها فرقة أولاد عكاشة بدار الأوبرا السلطانية في نوفمبر ١٩١٧م.

إنجومار

الفصل الأول

[مدينة أثينا — ساحة عمومية . إلى الخلف بوابة كبيرة — إلى يمين المسرح باب منزل تيزرديه
وأبواب منازل أخرى مجاورة — أمام باب منزل سيروس آلة غزل وسلة خيط صغيرة —
منزل پوليدور أمام منزل تيزرديه]
[تدخل أكتيا إلى المسرح خارجة من باب منزل تيزرديه]

أكتيا — ها قد أوشكت الشمس على الغروب ، وستغلق الآن أبواب المدينة ، ومع ذلك
فلم يأت ميرون ، أما ابنتي ، بارثينيا الصغيرة ، فإنها لا تكاد تنتهي من عملها ،
حتى تجلس إلى الأرض منصرفة تفتح باب القفص . [تنادي] بارثينيا ! بارثينيا !

الجزء العلوي من الصفحة الأولى لمخطوطة مسرحية «أنجومار».

الفصل الأول

(مدينة ماسيليا، ساحة عمومية. إلى الخلف بوابة كبيرة، إلى يمين المسرح باب منزل مَيْرون وأبواب منازل أخرى مجاورة. أمام باب منزل ميرون عَجلة غَزْلٍ وسلَّة فيها خيوط. منزل بوليدور أمام منزل مَيْرون.)

(تدخل أكتيا إلى المرسح خارجة من باب منزل مَيْرون.)

أكتيا: ها قد أوشكت الشمس على الغروب، وستغلق الآن أبواب المدينة، ومع ذلك فلم يأتِ ميرون. أما ابنتي، بارتينيا الشقية، فإنها لا تكاد تنتهي من عملها حتى تطير، كأنها عصفور فُتح له باب القفص. (تنادي) بارتينيا! بارتينيا (تدخل بارتينيا من اليمين).

بارتينيا: ماذا تريدين يا أمي العزيزة؟

أكتيا (تشير إلى الغَزْل): انظري هنا يا شقية، ما الذي اشتغلتيه اليوم؟ لقد انتهى النهار، وها نحن في الغروب، والغزْل باقٍ على حاله!

بارتينيا: لقد غزلت اليوم ما يكفي، ثم وجدت الجيران يجمعون زيتونًا، فساعدتهم.

أكتيا: لماذا ساعدتيهم؟ كان يجب أن تبقي إلى جانبي. أصغى إليَّ يا شقية، لقد ضيعت حياتك في اللهو واللعب كأنك طفلة صغيرة، وقد آن لكِ الآن أن تضعي حدًّا لذلك، فاسمعي ما أقول.

بارتينيا: ها أنا سامعة يا أمي، ماذا تريدين؟

أكتيا: إن جارنا بوليدور، رجل غني كثير المال، ومع ذلك فلست أنكر أنه متقدم في السن، ولكنه محترم رفيع المقام، وقد خطبك منا، ألا تُصغين؟

بارتينيا (مضطربة)**:** ها أنا مصغية!

أكتيا: هذا ما تقولينه دائمًا، فأكلمك ساعة أو ساعتين، وأنت متشاغلة لاهية، وأفكارك تجوب المزارع والغابات، ولكن قد آن أن تنظري في المستقبل، وحان وقت التفكير في الزواج، وقد سبق أن رَفَضْتِ مِيرُونْ.

بارتينيا: لأنه عجوز، أبيض الشعر، خشن المعاملة.

أكتيا: وإيفاندور؟

بارتينيا: إيفاندور؟ هاها! لأنه سيئ المنظر، خبيث المخبر.

أكتيا: آه يا جاهلة! ألا تعلمين أنك ترفضين النعمة بهذا الجهل؟ ولكن ستأسفين في المستقبل حين لا يجدي الأسف؛ لأنك مغرورة في نفسك مخدوعة.

بارتينيا: إني لا أزال فتاةً صغيرة يا أمي، فَرِحَةً مسرورة، وأنت وأبي تحباني، فماذا أريد أكثر من ذلك (تضمها أمها إلى صدرها)!

أكتيا: إننا نحبك يا ابنتي حبًّا جمًّا، ولكنك لا تحبيننا.

بارتينيا: أنا يا أمي؟!

أكتيا: نعم، وإلَّا فاتركي لي ولأبيك الحرية في اختيار زوج لك.

بارتينيا: لا، لا يا أمي، لا تختارا بوليدور.

أكتيا: ماذا تريدين؟ أتنتظرين زوجًا من آلهة السماء؟! تكلمي، ماذا تنتظرين؟

بارتينيا (بعد فترة سكوت)**:** ماذا أنتظر؟ اسمعي يا أمي، لقد كنت تُغَنِّين لي وأنا طفلة صغيرة أغاني الحب وأناشيد المحبين، فكنت أسألك ما هو الحب يا أمي؟ فتقولين لي: إنه عاطفة تتملَّك القلب الخالي، تبتدئ ضعيفة ثم تقوى شيئًا فشيئًا، إلى أن تتغلب على النفس والروح، فتملأهما آمالًا وسرورًا، ويهتف إله الحب بهذه الروح الفَرِحة: إنك مقيمة أيتها المحبوبة في قلب ذلك المحب، فَعيشي معه، ومُوتي معه! فعندما تقدَّم لخطوبتي مِيرونْ وإيفاندورْ، سألت قلبي هل يحب أحدهما، فلم يجيبني بحرف. ولذلك فإني يا أمي منتظرة صوت قلبي.

أكتيا (على حِده): يا للآلهة! نُطلِق لألسنتنا العِنان، ولا ندري أن آذان أبنائنا تلتقط ما نقول. (لابنتها) تالله إنك لجاهلة حقًّا! أهذا هو ما تنتظرين؟ إذن فاعلمي أن كلَّ ما كنت أقوله لك لم يكن إلَّا أحاديث خرافة، وقصصًا كاذبة، ولا تَنْسَيْ أن التوفيق لا يسعدك بعد اليوم بخطيبٍ مثل بوليدور الغني الشريف!

بارتينيا: الشريف؟! لو كان شريفًا لما انتهز فرصة احتياج أبي وشدة عَوَزه، فيأخذ منه الأسلحة والدروع بأبخس الأثمان!

أكتيا: هذه أمور لا تفهمينها أنت؛ لأن بوليدور تاجر دقيق حريص، ففكري في الأمر ووافقي عليه، ولو إكرامًا لخاطري يا ابنتي.

بارتينيا: كفى يا أمي، فإني قد عَوَّلت على عدم الخروج إلى الأحراش والغابات مثل سائر البنات أمثالي، وسأتفرغ للغزْل والكدِّ في العمل، مطيعةً أوامرك في كل شيء، إلا مسألة بوليدور؛ لأني لا أريد بالمرة، أبدًا.

أكتيا: أبدًا؟!

بارتينيا: ولماذا تغضبين؟

أكتيا: أَوَليس لي حق في هذا الغضب وأنت ترين أبويك الآن قد كَبِرَا، وأصبحا في حاجة إلى الراحة؟ فأبوك يقضي طول يومه في المزرعة، تكويه الشمس المحرقة، ويرهقه النَّصَب والتعب، ويقضي طول ليله في المصنع، بين السندان والمطرقة، يصنع من الحديد سيوفًا ودروعًا، ليحملها في غده إلى الأسواق المجاورة، وهي حمل ثقيل ينوء تحته؛ على أمل أن يربح فيها قليلًا، نقتات به؟

بارتينيا: مسكين يا أبتاه!

أكتيا: مسكين؟! إنه مسكين جدًّا، يحمل بضائعه على ظهره في الجبال والوهاد، تارة صاعدًا ومرة نازلًا، تَهُبُّ في وجهه الرياح والعواصف، وربما يقع في أيدي القبائل المتوحشة، فيسلبوا متاعه أو يؤذوه أو يقتلوه.

بارتينيا: أماه! أماه!

أكتيا: فأفكر في كل ذلك وأبكي؛ لأنه يحبك بل ويموت في سبيل هنائك، مضحيًا نفسه لأجلك، وفي إمكانك إنقاذه مما هو فيه من الشقاء والتعب، وأن تكفكفي دموعي، وتسعدينا في شيخوختنا، ولكنك لا تريدين! فاذهبي عني أيتها العاقة، اذهبي يا ناكرة الجميل! اذهبي يا من لا تحبين إلا نفسك (تتركها وتذهب إلى المنزل).

بارتينيا (وحدها)**:** ناكرة الجميل! كلَّا! عاقة لأبي، وهو لأجلي يَجِدُّ نهارَه وليله، ولأجلي يحمل حِمله الثقيل، في الجبال الوعرة، والمضايق الصعبة، يفري جسمه البرد والعواصف! كلَّا كلَّا! لست جاحدة فضلك يا أبتاه، وسأُظهر لأمي خطأ ظنها فيَّ. ولكن ماذا أفعل؟ هل أرتبط بالزواج مع ذلك الشيخ البخيل؟ آه، لا بد من ذلك! فالوداع أيتها الأحلام الجميلة، ووداعًا أيها المستقبل الباسم (تفكر قليلًا) ما الحب إلا خيالًا موهومًا، بلى هو حلم. وما الحياة إلا طيفًا نجهل منها الغد، ولا نعرف منها إلَّا اليوم والأمس! وها أنا الآن أفيق من سكرة الآمال لأقوم بالواجب عليَّ! فالوداع يا أحلام الصبا والشباب، ما دام أبي سيستريح، نعم سيرتاح من كَدِّه وتعبه. ولكن (تنظر إلى الخارج) مَن هذا القادم؟ إنه بوليدور، إذن فلأهرب! كلَّا، بل أبقى لأساوم على سعادتي ما دام لا مفر من بيعها. أراه صورةً مجسمةً من الكبرياء وسوء الخلق والحرص، ولكني مرغمة على زواجه. آهِ يا ربي (تتقدم نحو عجلة الغزْل وتجلس إلى العمل).

(يدخل بوليدور من اليسار.)

بوليدور (لنفسه)**:** حقًّا لا بد لي من الزواج؛ إذ لا أستطيع الحياة بلا زوجة.

بارتينيا (على حدة)**:** ما أثقلَ ظلَّه! كأنه يحمل الدنيا على رأسه.

بوليدور (على حدة)**:** لا أجد امرأة مثل زوجتي المتوفاة؛ لأنها كانت نَشِطة في عملها حريصةً على مالي، فهل يا ترى تستطيع ابنة صانع الأسلحة أن تقوم مقامها؟ (يلتفت فيراها) آَهْ! ها هي وحدها، حقًّا إنها جميلة (يتقدم إليها) أسعد الله صباحك أيتها الفتاة الجميلة. صباح الخير!

بارتينيا: بل قل مساء الخير؛ لأن الشمس قد غربت.

بوليدور: وهل نكون في المساء، وعيناك الجميلتان تضيئان المكان؟

بارتينيا: حسبك يا سيدي هذا الثناء، وخير لنا أن نتكلم بصراحة؛ لأني علمت أنكَ تريد أن تتزوجني.

بوليدور: نعم نعم، هذه هي الصراحة (لنفسه) يظهر أنها مغرمة بي، ولقد صدق ظني.

بارتينيا: أمي هي التي أخبرتني بذلك، ولكني أعجب من وقوع اختيارك عليَّ، ويظهر أنك نسيت خطيبتك الأخرى.

بوليدور: نسيتها؟! كلَّا، فإني لست ممن ينسون، ولكن أسبابًا أخرى حملتني على اختيار غيرها؛ لأن أولادي …

بارتينيا: يا لهم من أيتام مساكين!

بوليدور: إنهم ليسوا مساكين، بل متعبين جدًّا، ولكن ليس من الاقتصاد في شيء أن أُحضر لهم مربية، وأفضِّل زوجةً وديعة تسوسهم باللين واللطف.

بارتينيا: نعم، وتكون في وداعة الحمَل المسوق إلى المذبح!

بوليدور: فضلًا عن أني كثيرًا ما أتغيَّب عن منزلي في أسفاري إلى الأسواق، ولا يحسن أن أترك عيالي وخزائني وأموالي في حراسة خادم، لكن إذا كانت لي زوجة وفيَّة، فإنها تقوم بهذه الشئون، لا سيما وقد تقدَّمت في السن، وكثيرًا ما ألزم الفراش مريضًا ولا أجد مَن يمرِّضني ويسقيني الدواء ويناولني الطعام.

بارتينيا (على حدة)**:** رويدك يا قلبي.

بوليدور: وستكونين أنت زوجتي، تحبينني وتعيدين لي قوتي وشبابي.

بارتينيا: مهلًا يا سيدي، وأَصْغِ إليَّ، أنت تعلم أن أبي يقضي نهاره في المزرعة، ويقضي ليله في المصنع، ثم يحمل بضاعته على ظهره، ويغشى بها الأسواق، ولكنه الآن أصبح كبير السن، وفي حاجة للراحة، فإذا تزوجتك، هل تفكر في أبي المسكين؟

بوليدور: بالتأكيد، وكيف لا؟ طبعًا أفكر فيه.

بارتينيا: وهل تستطيع أن تعمل له شيئًا؟ قل لي ما الذي تستطيعه؟

بوليدور: بالطبع ستتحسن حاله كثيرًا؛ لأنه سيكون حَمِيَّ، حَمَا بوليدور! بوليدور الغني العظيم الذي ينتهي نسبه إلى الآلهة، فانظري إلى هذا الشرف وفكري فيه.

بارتينيا: ولكن الشرف وحده لا يُشبع ولا يغني من جوع، فما الذي تعمله لأبي؟

بوليدور: قبل كل شيء … أشتري منه سِلَعَه بثمن مناسب.

بارتينيا: بثمن مناسب! هذا فيه صالحك، وماذا أيضًا؟

بوليدور: ماذا أيضًا؟! ثم … ولكن انظري هنا أيتها الفتاة، فإني سآخذك من غير مَهْر، سآخذك كما أنت، من غير مَهْر!

بارتينيا: ولكن ما الذي تعمله من أجل أبي؟

بوليدور: ألا يكفيكِ ذلك؟ إني أراه كثيرًا، بل كثيرًا جدًّا!

بارتينيا: ولا تَزيد عليه شيئًا؟

بوليدور: أَزيد شيئًا، هذا كثير جدًّا!

بارتينيا: أقسم بجميع الآلهة، إن هذا فضل منك عظيم، فأسعد الله مساءك يا سيدي (تتظاهر بالخروج).

بوليدور: ماذا؟ أتذهبين؟ يجب أن تجيبي.

بارتينيا (تقف)**:** إذا كان لا بد من الجواب، فاسمع: خيرًا لك أن تستحضر مربيةً لأولادك، بأي أجرٍ تريد، ومتى تريد، وأن تشتري لكَ عبدًا يحرس منزلك، وأقفالًا لأبوابك، وإذا مرضت، فاشترِ دواءك بنفسك، واشْرَبْه بنفسك. واعلم أني لا أكره شيئًا في الدنيا مثلما أكرهُك، وهذا هو جوابي لك أيها البخيل الحريص، الذي لا قلب له، فسلامًا عليك يا نسل الآلة! (تدخل منزلها).

بوليدور (وهو ينظر إليها مبهوتًا وهي خارجة)**:** ما هذا؟ هل سمعت حقًّا؟ أترفضني وأنا بوليدور، صاحب الأموال الطائلة؟ ابنة الرجل الحقير، صانع الأسلحة، تحتقرني أنا الغني العظيم، نسل الآلهة؟ تحتقرني كأني أحد زملاء أبيها؟ تحتقرني وتهزأ بي، وتقول لي إنها لا تكره شيئًا في الدنيا مثلما تكرهني! إذن لا بد من الانتقام! ولكن بأي الوسائل؟ لا أرى خيرًا من أن أرفض مشترى أسلحته، إنما أشتري ديونَه كلها، وأطالبه بها وهو لا يملك شيئًا، فأرفع أمره إلى القضاء، فيصبح أسيري، هو وابنته الفاجرة، فأخرجهما من الدار، بل ومن المدينة كلها! نعم لا بد من ذلك، ولن يهدأ لي بال حتى أنتقم منه، وأشفي الغليل.

(يدخل لَيْكُون من اليسار.)

لَيْكون: نعم أظن أن هذا هو المنزل؛ لأنه قال لي: سر في الشارع العمومي إلى أن تصل إلى البوابة، فتجد منزلي على مقربة منها إلى اليمين. (يذهب على باب البيت المجاور لباب منزل مَيْرُون ويقرعه) افتحوا! افتحوا فإني أحمل لكم أسوأ الأخبار، ومهما ثقلت آذانكم، فلا بدَّ من سماع أخباري المحزنة.

بوليدور (على حدة)**:** آه! ماذا يريد هذا الرجل؟

(تخرج تيانو من منزلها الذي يدق عليه ليكون.)

تِيَانُو: ماذا تريد يا رجل؟ تكلم!

لَيْكون: هل أنتِ زوجة مَيْرون؟

تِيَانُو: صانع الأسلحة؟ كلَّا، وزوجي تُوفِّي من زمن بعيد.

لَيْكون: إذن فاشكري الآلهة؛ لأن الموت خير من الوقوع في الأسر.

تِيَانُو: آه! من هو؟ ماذا؟ أتتكلم عن ميرون؟

لَيْكون: نعم، فقد وقع في أسر القبائل المتوحشة.

بوليدور (على حدة)**:** أسره المتوحشون! هذه أخبار سارَّة.

تِيَانُو: ميرون أسير؟

لَيْكون: نعم، وقد رأيته بِعَيْنَي رأسي.

تِيَانُو: يا للآلهة! ميرون!

(يدخل نيوكليس وإِلْفينُورْ وأَمِينْتَاسْ وغيرهم من أهالي ماسِّيليَا وذلك من البوابة.)

تِيَانُو (متممةً)**:** ها قد أقبل أصحابه.

نيوكليس: ما هذه الضوضاء؟

تِيَانُو: إلفينور، نيوكليس، إن هذا الرجل يقول إن ميرون وقع أسيرًا في أيدي القبائل المتوحشة.

نيوكليس: كيف! أتقولين حقًّا؟

إلفينور: وكيف حدث ذلك؟ قل لنا يا رجل.

لَيْكون: بينما كنت على الشاطئ من جهة الغابة، أبحث عن مكان صالح، أربط فيه قارب صيدي، إذ رأيت في الغابة رجلًا يحمل حِمْلًا ثقيلًا على ظهره، ثم وضع حِمْلَه على الأرض وجلس ليستريح بجانبه، وما أشعر إلا بأصوات خارجة من الغابة، كأنها أصوات الذئاب الضارية.

(تخرج أكتيا من منزلها بدون أن تلتفت إلى الموجودين.)

أَكْتِيَا: ها هي قد تركت عجلة الغزْل بدون أن تعمل شيئًا (تلتفت فترى جيرانها) آه ما هذا؟

لَيْكون (متممًا حديثه)**:** فإذا هم جماعة من المتوحشين، فهجموا عليه وهم يصخبون ويلعنون فسلبوا ما كان معه ثم سألوه عن اسمه، ولما قال لهم إنه صانع أسلحة في ماسِّيليا، صاحوا صيحة الفرح والنصر وأخذوه معهم، بعد أن أوثقوه بالحبال.

أَكْتِيَا: صانع أسلحة! أوثقوه وأخذوه معهم! قل لي يا رجل من هو ذلك النفْس؟ تكلم!

لَيْكون (مشيرًا بيده إلى الجماعة)**:** أهذه زوجة ميرون؟

أَكْتِيَا: نعم زوجته! إذن فهو زوجي ميرون؟ تكلم، لا لا! إنه ليس ميرون فقل لي الحقيقة بسرعة.

لَيْكون (بعد السكوت برهة)**:** زوجك ميرون أسره المتوحشون.

أَكْتِيَا (صارخة جازعة)**:** وا ويلاه (ثم تسقط على الأرض فاقدة الصواب).

نيوكليس: لقد خارت قواها وأغشي عليها.

إلفينور: سقطت على الأرض.

تِيَانُو (آخذة بيدها)**:** ساعدوني! ساعدوني! احملوها إلى منزلها (يحملونها إلى داخل المنزل).

أمينتاس: وهل أولئك المتوحشون من الجبال؟

لَيْكون: نعم، وهم الذين خرجوا من جبالهم منذ ثلاثة أسابيع رغمًا عمًّا بيننا وبينهم من المعاهدات، فخربوا المزارع والحقول وسرقوا الماشية واغتصبوا الأغنام، وقطعوا الطرق على المسافرين، وها هم الآن يأسرون ميرون المسكين.

بارتينيا (خارجة من المنزل بسرعة)**:** أين الرجل الذي يحمل هذه الأخبار المزعجة؟ تكلم! هل هو أبي؟ أهذا صحيح؟ وهل رأيته بنفسك؟

لَيْكون: لم يكن بيني وبينه أكثر من عشر خطوات.

بارتينيا: وهربتَ بينما أسره المتوحشون؟

لَيْكون: لقد اختفيت خلف الأشجار الضخمة ولم أجسر على الإتيان بأية حركة إلى أن انتهت المسألة فنجوت بنفسي. ولكن الرجل لمحني فقال لي: «أنا ميرون من ماسِّيليا، أنا صانع الأسلحة، فبحق الآلهة إلا ما ذهبت إلى امرأتي وابنتي، ورجوتهما في استحضار فديتي.» وعند ذلك قال لي أحد المتوحشين، وهم يسحبون أباكِ المسكين: «إن فديته ثلاثون أوقية من الفضة.» ثم اختفوا به في الجبال.

بارتينيا: إذن فهو الآن أسير. قفي أيتها الدموع، وتحمَّل ألم المصاب يا قلبي (إلى لَيْكون) أتقول إنهم أخذوه إلى الجبال وإنهم يطلبون فديته! بيتنا ومزارعنا وكل ما نمتلك مرهون فنحن لا نمتلك شيئًا ولكن هنا أصدقاؤه وأصحابه (موجهة الحديث إلى كل منهم) نيوكليس! ألا تساعده! وأنت يا أمينتاس، أنت يا رفيق صباه، أنت يا مَن شاركته في لهو الطفولة والشباب، وشقاء الهَرَم والكبر، إنك لتفتديه، وإنك على ذلك لقدير. تكلموا، تكلموا أيها الأصدقاء قولوا نعم، أقرضونا الفدية!

أمينتاس: أنا؟ ثلاثين أوقيةً من الفضة؟ ليتني أمتلك هذا القدر لعيالي.

نيوكليس: إن ثروتي كلَّها على متن البحار، ومن ذا الذي يأمن العواصف والأمواج؟

بوليدور: آهاه!

بارتينيا (إلى نيوكليس)**:** ارْحَمْهُ ترحمْك الآلهة وَتَعُدْ إليك مراكبك سالمة! ارحموه تُرْحَمُوا وتُرْحَمْ أبناؤكم! أنقذوه أيها الناس! ألا فلتغسل دموعي أحزان أمي.

نيوكليس: لا أستطيع مساعدته.

بارتينيا: وأنت يا أمينتاس؟

أمينتاس: لا أستطيع.

بارتينيا: يا للصداقة! إنها ليست إلَّا حديث خرافة، فيا لأبي المسكين!

(يسمع صوت حاجب حاكم المدينة في الخارج.)

الحاجب (في الخارج)**:** أفسحوا الطريق لسمو الحاكم! أفسحوا الطريق!

بارتينيا: آه، الحاكم لقد نجوتَ يا أبي؛ فإن ماسِّيليا تحمي أبناءها.

(يدخل حاجب الحاكم من اليسار، يتقدَّم الحاكم وحاشيته.)

الحاجب: أفسحوا الطريق لسمو الحاكم.

بارتينيا (راكعة على قَدَمَيِ الحاكم)**:** النجدة يا مولاي النجدة!

الحاكم: تكلَّمي يا فتاة، لماذا تطلبين منا النجدة؟

بارتينيا: أنقذه يا مولاي! ميرون صانع الأسلحة، أبي يا مولاي، أخذه المتوحشون إلى الجبال. أنقذه من الأسر يا مولاي، أنقذه من العبودية!

الحاكم: أحد رعايانا في الخطر، وماذا تريدين منا؟

بارتينيا: دُقَّ الطبول يا مولاي، لتهبَّ المدينة إلى السلاح فتسترد ماسِّيليا ببطشها أحد أبنائها الأبرار وتنقذه من أسر السفاحين، وتعيده إلى بيته حُرًّا مرة أخرى.

الحاكم: هذا لا يمكن يا فتاة؛ لأن القانون الأساسي المعمول به منذ نشأة ماسِّيليا وعقب حروبها مع سكان الشواطئ، يقضي على الأفراد بحماية أنفسهم ما داموا قد تجاوزوا الحدود، وليس علينا حمايتهم إلَّا إلى مرمى ظلال الأسوار. وأبوك قد تجاوز مرمى تلك الظلال؛ وبذلك خالف القانون، فلا سبيل لنا إلى إنقاذه أو إلى محاباته.

بارتينيا: لا أطلب المحاباة يا مولاي بل أريد العدالة والحق! أليست ماسيليا الآن قوية عظيمة، يمتد سلطانها إلى أبعد من مرمى ظلال أسوارها؟ وها أحد أبنائها الآن في الخطر فيجب عليها أن تنقذه، فانقذه يا مولاي الحاكم!

الحاكم: لا نستطيع، واعلمي أنه لو اهتز حجر واحد في بنيان العدل، سقط البنيان كله على الأثر؛ ولذلك فليس في الإمكان مساعدته (يهم بالذهاب).

بارتينيا (تركع على ركبتيها أمامه)**:** ارْحَمْهُ يا مولاي!

الحاكم: إنما الرحمة قاصرة على الآلهة في السماء، أما هنا في الأرض فلا نملك إلا العدل، وليس من العدل أن نضحي مصلحة الجميع لأجل مصلحة الفرد، فأفسحي الطريق!

الحاجب: أفسحوا الطريق لسمو الحاكم.

(يخرج الحاجب والحاكم والحاشية من اليمين.)

بارتينيا (خلفهم)**:** الرحمة الرحمة! وا أسفاه! ليس من يشفق عليَّ أو يصغي إليَّ، بل كلهم يولُّون عني ويتركوني في حزني! فأين منكِ الرحمة أيتها الآلهة (تركع على ركبتيها وتخفي وجهها في يديها)!

بوليدور (على حِده وهو يفرك يديه)**:** لا أستطيع المساعدة! إني أحبكم من صميم قلبي يا عُبَّاد الذهب؛ لأنكم قلتم حقًّا. لا أستطيع المساعدة، هذا صحيح. لقد ذهبوا كلهم وتخلَّوا عنها، وأتى الآن دَوري.

بارتينيا (ترفع رأسها وتتلفَّت حولها): لا بد أن أحصل على المساعدة بأية وسيلة كانت، وها هو بوليدور، إذن فلأضحي نفسي لأنقذ أبي.

بوليدور: إن بوليدور ليس بعيدًا عنك، فماذا تريدين؟

بارتينيا: ها أنا ذا يا سيدي راكعة على قدميك، باكية وضارعة إليك.

بوليدور: آه، انظري الآن! هل تتواضعين إلى هذا الحد؟

بارتينيا: تناسَ يا سيدي كلَّ شيء، سامحني، رُدَّ عليَّ أبي، فأكون زوجتك بل خادمتك وأَمَتَك.

بوليدور: أصحيح ما تقولين؟

بارتينيا: أحرصُ على خدمة بيتك ومتاعك، وأسلِّيك في شيخوختك وأربِّي لك أبناءك.

بوليدور: أتفعلين كلَّ ذلك؟

بارتينيا: نعم يا سيدي وأكثر منه، فادفع الفدية وردَّ عليَّ أبي.

بوليدور: إذن فأنت تطلبين ثلاثين أوقية من الفضة؟ لا لا، هذا كثير، لا سيما وأني رجل أتبع نُصْحَ الناصحين، ولقد أشرتِ عليَّ منذ برهة بأن أستأجر مربيةً لأبنائي، وأن أكتفي في حراسة منزلي بأقفال لأبوابي، وإذا مرضت فأشتري الدواء بنفسي. أليس هذا ما كنتِ تقولين؟ إنها لنصيحة طيبة حقًّا، والآن فإني أنصحك نصيحة مثلها، فأنقذي أباك بنفسك وابحثي عنه في تلك الجبال، واستعملي فصاحتك مع أولئك المتوحِّشين، لعلهم يقدِّرونها بثلاثين أوقية من الفضة تفتدين بها أباك، هاهاها! لقد احتقرتِ بوليدور، والآن أنتقم منك لهذا الاحتقار، فإلى الملتقى، هاهاها (يخرج من الشمال).

بارتينيا (بعد فترة من السكوت والتفكير): ما هذه الفكرة التي تغلَّبت على قلبي اليائس! حقًّا إنها لوحي الآلهة! فهيا هيا؛ لأن الليل بدأ يخيِّم على الكون، وقد آن لي وقت العمل، ولكن ماذا يَحُلُّ بأمي المسكينة. (تنادي) تيانو، تيانو (تخرج تيانو من منزلها) ماذا حَلَّ بأمِّي؟

تيانو: غلب عليها الحزن فنامت.

بارتينيا: تيانو، إني أترك أمي في رعايتك؛ لأني ذاهبة إلى الجبال.

تيانو: الآن؟ وفي هذا الليل؟

بارتينيا: نعم، فالوداع يا تيانو!
تيانو: ماذا تقولين؟ أتذهبين وحدك؟
بارتينيا: إن الله معي (تجري بسرعة).
تيانو: بارتينيا اسمعي!
بارتينيا: كلَّا كلَّا.

الفصل الثاني

(في الجبال السِّفين L Cevenne، غابة كثيفة الأشجار وإلى ناحية منها حيث تقل الأشجار تُرى الصخور الجبلية. إلى خلف المسرح نار بين متقدة ومنطفئة، وجمع من المتوحشين لابسين جلودًا ونائمين حول النار، وعلى مقربة منهم دروع منثورة وخوذات وحراب ... إلخ، ووراء هؤلاء بعض خيام من الجلد.)

(على مقربة من المتفرجين وإلى يمين المسرح يجلس أمبيفار ونوفيو وترينوبانتيس ومعهم نرد يلعبون به وبجوارهم صخرة ضخمة. أنجومار يُرَى نائمًا تحت ظل شجرة أسند إليها سيفه ودرعه.)

أمبيفار: رميةً أخرى.
ترينوبانتيس: تبًّا لك! هذا هو الحظ بعينه.
نوفيو: دوري الآن.
أمبيفار: وعلامَ تلعب؟
نوفيو: عندي مُهْر أسود عمره سنتان، يسابق الريح عدوًا، فأضعه في الرهان.
أمبيفار: فليكن! وأنا أضع كبشين في هذا الرهان.

(بينما هم يقامرون، يدخل أحد المتوحشين يسوق أمامه ميرون حاملًا حملًا ثقيلًا من الأحطاب والأخشاب، وذلك من الشمال.)

المتوحِّش (إلى مَيرون)**:** ضع الحِمْل أيها العبد الرقيق، وكَسِّر الخشب قطعًا صغيرة لنوقده في المساء، خذِ البلطة (يناوله البلطة) أَسْرِعْ (يخرج المتوحِّش من الشمال ويجلس ميرون يكسر الخشب).

مَيرون (لنفسه)**:** يخيَّل لي أن كل ما حدث لم يكن إلَّا حلمًا! فيا لشقائك يا ميرون! يا للتعاسة! أنا، أنا! يا للآلهة! أأصبح عبدًا رقيقًا لهؤلاء البرابرة المتوحشين! وبالأمس فقط كنت ابن ماسِّيليا الحرَّ الطليق! كنت زوجًا وأبًا، وها أنا الآن تَعِسٌ أسير!

نوفيو (إلى ميرون)**:** أريد أن أشرب أيها العبد الزنيم!

أمبيفار: انتهى الدور، وكسبت الرهان!

ترينوبانتيس: عشرة!

نوفيو: قسمًا بالرعود والبروق!

ميرون (على حدة)**:** وا أسفاه! إن كل سلعتي وبضاعتي لا يكفي لدفع الفدية وإطلاقي من الأسر، ولو كنت شابًّا قويَّ العضلات لحاولت الهرب، ولكني ذلك الشيخ الهرم، الذي أَحْنَتِ السنون ظهره، وأنهكت قوته، فلا أملَ لي في النجاة، ولا أمل في الهرب!

نوفيو (إلى ميرون وهو يهدده بقبضة يده)**:** أيها العبد! ألا تسمع؟ قلت لك أريد أن أشرب! وإلا استخلصت أذنيك من جمجمتك! هاتِ الشراب!

ميرون (يذهب بها إليه)**:** ها هو الشراب يا سيدي.

أمبيفار: مرةً أخرى! ما هذا يا ترينوبانتيس؟

ترينوبانتيس: هذا درعي في الرهان.

أمبيفار: وأنا أضع سيفي وحزامي! هل رضيت؟

ترينوبانتيس: نعم رضيت.

ميرون (على حِده)**:** ألا يدفعون فديتي! ارحميني أيتها الآلهة، وَرُدِّيني إلى بيتي مرة أخرى، وليكن موتي في وطني، وبين ذراعَي ابنتي العزيزة!

أنجومار (وهو نائم)**:** اقتفوا أَثَرَهم! أسرعوا خلفهم! اقتلوهم (يصحو من نومه) ما هذا! لَعَلِّي كنت أحلم؛ إذ رأيت كأني جريح، والقتال محتدم، ثم انتصرنا أخيرًا، فولَّى العدو لا يلوي على شيء، وغنمنا الغنائم، أما الأسرى فلا يُحصى عددهم! كل ذلك رأيته في نومي، إذن فَلأنَمْ!

ترينوبانتيس: لقد خسرت! وحسبي ما خسرته اليوم.

أمبيفار: ألا تلعب مرة أخرى؟

سامو: لقد حان وقت الغداء.

أمبيفار: هَلُمَّ إلى اللعب، فالدور لي.

نوفيو (ينهض)**:** كلَّا، بل لي أنا.

أمبيفار (ينهض)**:** أنت كاذب!

نوفيو (يقبض عليه من عنقه)**:** غَشَشْتني أيها الكلب!

أمبيفار (يرفع بلطة فوق رأس نوفيو)**:** كلب! إن الكلاب تعض يا نوفيو (يحاول أن يضربه بالبلطة فيدفع نوفيو الضربة ويمسكان ببعضهما، يحاول نوفيو أخذ البلطة من أمبيفار وهذا يحاول الاحتفاظ بها).

أنجومار (ينهض بعزم)**:** ما الذي أرى؟!

نوفيو (إلى أمبيفار)**:** أيها السفَّاح!

أنجومار (يفرق بينهما)**:** اتركه يا وغد!

نوفيو: مَن ذا الذي يجسر (يفترقان).

أنجومار: أنا! أتجرأ على مخالفتي؟ هل أنت الزعيم! افترقا بأمري!

نوفيو: صبرًا صبرًا!

أمبيفار (وهو يهز بلطته في بيده)**:** فلا بد أن أخضبها بدمك.

أنجومار (يخطف البلطة من يده)**:** قف قلت لك! وإلا قتلتك شر قتلة! انصرفوا الآن، اذهب يا نوفيو وأبحث عن ألستور. وأنت يا أمبيفار (إلى أمبيفار) خذْ بلطتك، وكَسِّر لنا خشبًا لوقود المساء! هلمُّوا الآن!

أمبيفار (لنفسه)**:** لا بأس! وستأتي ساعة الأخذ بالثأر.

أنجومار: أمبيفار، جهِّز لنا الطعام! وأنت يا سامو، هاتِ الأغنام من المرعى! اخرجوا جميعا (يخرجون من أبواب متفرقة) أيعصونني أنا! زعيمهم وابن زعيمهم! قسمًا بالبروق والرعود لأعلمنهن الأدب أجمعين (إلى ميرون) مَن هذا؟ تعالَ هنا أيها الرقيق، ناولني الشراب (يذهب إليه ميرون حاملًا آنية الشراب فيأخذها أنجومار ويشرب) حقًّا إنه لشراب منعش! سَلِّني الآن أيها الرقيق (يرتمي على الصخور).

ميرون: أنا؟

أنجومار: ما اسمك يا رجل؟

ميرون: اسمي ميرون يا سيدي!

أنجومار (هادئًا)**:** «اسمي ميرون يا سيدي» هاها! ليس هذا بصوت رجل! تكلم، من أنت؟

ميرون: وا أسفاه وا أسفاه (يبكي).

أنجومار: ما الذي يبكيك أيها الغبي؟ ماذا يؤلمك؟ وما الذي ينقصك؟ فأنت هنا تأكل وتشرب، وتنام على الأعشاب الناعمة؟ وسنجعلك تشتغل لنا هنا كما كنت تشتغل في بلدك، فماذا ينقصك من أسباب الهناء؟

ميرون: أوَلا ترى أن فقد الحرية، يستدعي البكاء؟

أنجومار: أية حرية أيها الغبي الجاهل؟ إنك تضحكني! وهل كنت حرًّا حتى تدعي أننا سلبنا حريتك؟ ألا ترى أنك في أسر الشيخوخة والهرم من قبلُ؟ إنما الحرية هي القوة، والقوة هي الشباب، فالشباب إذن هو الحرية!

ميرون: إني هنا أسير، مسلوب الحرية.

أنجومار: غبيٌّ! ما الذي يعرف عن الحرية؟ إنما الحرية هنا في الهواء الطلق، في الغابات مقرها، وفي الصخور مستقرها. هي الصيد والقنص، هي القتال والنزال، هي الأخطار والأهوال. هذه هي الحرية التي تجعل الدماء تجري في العروق كالأنهار الملتهبة، وتجعل القلوب تشتعل نارًا، هذه هي الحرية وهي السعادة، وهي لذة الحياة. أما مدينتكم، تلك المدينة المحصورة بأسوارها، فليست إلا غارًا مظلمًا وسجنًا دامسًا، وليست الحياة فيها إلَّا نكدًا وغمًّا!

ميرون: ولكني هناك وُلِدْتُ وفيها نشأت! هنالك العدل يا سيدي، والقانون والنظام. هنالك زوجتي وابنتي، وهما أعز ما أمتلك على ظهر الأرض. فيا لزوجتي ويا لابنتي!

أنجومار: إنك لشيخ جاهل! ماذا؟ أتبكي أيضًا! أتبكي لأجل النساء؟! إنك لَامْرَأَةٌ! ما النساء إلا ألاعيب لا عقل لها، خُلِقت لتحملَ وتضعَ وتخدم؛ خُلقت لتأكل وتشرب؛ خُلقت لترعى الماشية، وتُرضعَ الأطفال؛ خُلقت لتزيِّنَ شعرها، وترى وجهها في مياه الغدران الصافية! ولو كنت من الآلهة، لَمَا خلقتُ امرأة! وها أنت تبكي كالنساء، فاغرب عن عينيَّ! اذهب من أمامي أيها الشيخ الطفل!

ميرون: أراك غاضبًا يا سيدي، ولكنك لو كنتَ أسيرًا مثلي …

أنجومار: أنا؟ أنا أكون أسيرًا! إن أنجومار لا يؤسَر، حتى يُرفَعَ إلى مصافِّ الآلهة (يسمع صوت بوق) صهٍ! فإني أسمع بوقَ أَلَسْتور (يذهب ميرون إلى ناحية) ها هم أقبلوا (يدخل نوفيو من الشمال) هل وصلوا؟ تكلم!

نوفيو: نعم، وقد تركتهم في بطن الوادي، يقودهم أَلَسْتور، وهو يتسلق الصخور، ها هو قد أقبل (يدخل أَلَسْتور من الخلف ويدخل المتوحشون من أبواب متفرقة ويلتفُّون حول أنجومار).

أنجومار: كيف الحال يا أَلَسْتور؟ ما وراءك من الأخبار، وأين الغنائم؟

أَلَسْتور: لا شيء. وقد عدت صفر اليدين.

أنجومار: أتقول حقًّا؟ إن أهالي مدينة أَفِنًّا يرسلون قطعانهم إلى المراعي كل عام، فهل لم تلتقوا بهم؟

أَلَسْتور: لم نلتقِ بحافرٍ قط.

أنجومار: أخبارك سيئة كعادتك!

أَلَسْتور: لا شيء (بعضهم يضحك وبعضهم يزمجر) ومع ذلك فقد غنمت شيئًا، وهو فتاة جميلة.

نوفيو: ماذا؟ امرأة! وهل نحن في حاجة إلى النساء؟

أنجومار: فتاة؟

أَلَسْتور: نعم، وقد سَلَّمَتْ نفسها إلينا، بينما كنا مختفين في الغابة خلف الأشجار نرتقب قطعان الأغنام، فتقدَّمت إلينا بقدم ثابتة عندما سمعت صوتنا غير مكترثة لوعورة المسالك ولا للشمس المحرقة، فخرجنا عليها وقد هرب الغلام الذي كان يرشدها، فدفعت حرابنا بيدها العادية وهي تصيح فينا: «إني أبحث عنكم!»

أنجومار: إنها لفتاة شجاعة باسلة!

نوفيو: وماذا عملتم أنتم؟

أَلَسْتور: ضحكنا، وقلنا لها: ها نحن الذين تبحثين عنَّا، فأَنتِ الآن غنيمتنا. فتخلصت من قبضتنا وهي تصيح فينا: كلَّا كلَّا! لست غنيمتكم، بل أتيت لأدفع فدية أسيركم، فسيروا بي إلى حيث يوجد زعيمكم.

ميرون (لنفسه وهو يتقدم)**:** إذن فقد أَتَت لتدفع فديتي!

أنجومار: ما دام الأمر كما تقول، فهي إذن صادقة، ولَعَمْرِي إنها لقوية القلب.

أَلَسْتور: وعندما قالت ذَلك أطلقنا سراحها لنأتي بها إليك يا أنجومار، فتقدمتنا بأقدام ثابتة سريعة، فكأنها الزعيم ونحن الأتباع.

ترينوبانتيس: إنها لجريئة حقًّا.

أنجومار: ولأي الأسرى أتت تحمل الفدية؟

أَلَسْتور: لميرون من ماسيليا.

أنجومار: لذلك الشيخ الذي يبكي بكاء النساء!

ميرون: لقد افْتَدَتْنِي وردَّت عليَّ حريتي (إلى أَلَسْتور) أوَليست لامعة الشعر، برَّاقة العينين، كأنها الظبية في رشاقتها، وكلامها يكاد يكون غريدًا؟ قُل لي يا سيدي: أليست هي ابنتي؟!

(تدخل بارتينيا من الشمال وحولها جملة من المتوحشين.)

أَلَسْتور: ها هي قد أقبلت.

ميرون (مندفعًا نحوها)**:** بارتينيا، ابنتي، عزيزتي بارتينيا! يا للآلهة! أكاد أُجَنُّ من شدة الفرح.

بارتينيا (تضمه إلى صدرها)**:** أبي العزيز!

أنجومار (ضاحكًا)**:** ها هو يبكي أيضًا!

أَلَسْتور: تقدمي يا فتاة، ها هو أنجومار الذي تبحثين عنه.

أنجومار: قيل لي يا فتاة إنكِ أتيت تحملين فدية هذا الرجل، فما الذي جئتِنا به؟

بارتينيا: جئت لك بما هو أثمن من كنوز العالم أجمع، دعوات صالحة من زوجة مخلصة، ومدامع ابنة تحبُّ أباها، وشكر منزل كان خرابًا سيصبح عامرًا، وبركاتِ الآلهة التي تجازي المحسنَ على إحسانه أَلْفَ مرة. وها أنا ابنةٌ راكعة تحت أقدَامك، تضرع إليَك أن تطلق سراح أبيها الشيخ، وإنه لرجل هرم لا خير لكم فيه، ولا فائدة لكم منه، ولكن منزله يفتقده، فأطلقه يا سيدي، أَطْلِقه بحق الآلهة!

أنجومار: أُطلقه!

أمبيفار: أهذه هي الفدية؟

أَلَسْتور: أَنطلقه بدون مقابل! لقد خدعتنا الفتاة!

أنجومار: اسكتوا! يا امرأة، إن أباك غنيمة للقبيلة كلها، ولو كان ملكي وحدي لأطلقت لك سراحه؛ تخلصًا من بكائه ودموعه، ولكن إذا كنت تخدعيننا، وتجرئين …

بارتينيا (ناهضة فجأة)**:** حسبك ذلك، لا حاجة للتهديد والوعيد، فقد أخطأت فيك الظن؛ إذ حسبتك ذا قلب يَرِقُّ ويرحم، فخابت آمالي. والآن فلأتكلم بما فيه صالحكم، أنتم تطلبون فدية، وهو لا يملك شيئًا منها، ولكنه يملك قوة وذكاءً يستطيع بهما الحصول على فديته إذا سهَّلتم له السبيل إلى ذلك. أما إذا أبقيتموه في الأسر؛ فإن الحزن يقتله لا محالة، وبعد بضعة أسابيع لا تجدون منه إلا رفاتًا وعِظامًا، فأطلقوا سراحه وهو يشتغل ويكد، وأنا وأمي نشتغل معه، وكل ما نحصل عليه فهو لكم إلى أن نوفيكم حقَّكم.

أنجومار: هذا قول معقول، ولكن أين الضمان؟

بارتينيا: سنترك عندكم ما هو أثمن من حريته وحياته.

أنجومار: وما ذاك، وهل أحضرتِه معك؟

بارتينيا: نعم.

أنجومار: أرنيه.

بارتينيا: هو أنا!

ميرون: إنك لمجنونة يا ابنتي!

أنجومار: أنتِ!

بارتينيا: لو كنت تعلم قيمة ابنته عنده، لما احتقرت الضمان.

ميرون: كلَّا هذا لا يكون.

أنجومار: لم نطلب رأيك! إن هذا لأمر غريب، لا لا! لا نثقل كَاهِلنَا بامرأة.

بارتينيا: لست عبئًا عليكم وسأساعدكم؛ لأن هذه الأيدي الراغبة تعمل ما لا يعمله عشرون أسيرًا مُسَخَّرًا. أظنك لا تعرف فائدتي؛ فأني أغزِل وأَحِيك لكم ملابسكم، وأجهِّز لكم طعامكم، وأعزف الموسيقى، وأقصُّ قصصًا مسلية، وأغني أناشيد مطربة، تُسليكم في وقت راحتكم. وفضلًا عن ذلك فإني قوية سليمة الجسم والعقل، وما دام قلبي خاليًا فإني فَرِحَة مسرورة، فلا تخشَ شيئًا.

أنجومار: يظهر أنك تقولين حقًّا، ويلوح أن فيكِ لنا شيئًا من الفائدة، أَمَّا أبوك فلا يعرف إلا البكاء والعويل.

بارتينيا: إذن فَاقْبَلْ، وأطلقْ سراحه.

ميرون: لا لا، إنها مجنونة.

أنجومار: صهٍ! ماذا تقولون في ذلك أيها الرفاق؟

(يختلي معهم أما ميرون وابنته فيُتْرَكَان وحدهما بقرب المتفرجين.)

ميرون: ماذا تريدين أن تفعلي أيتها التَّعِسَة؟

بارتينيا: سيُطلِق سراحك يا أبي.

ميرون: ألم يساعدكِ أحد من أصدقائي؟ ألم يساعدْكِ الحاكم؟

بارتينيا: كلهم صُمٌّ بُكْم، فأتيت إليك وحدي؛ لأكسِرَ أغلالَ أسْرِك بيدي.

ميرون: ليتني مِتُّ قبل هذا وما سمعت منه شيئًا، وخير لي أن أراكِ بين مخالب دُبٍّ، عن أن أتركك بين هؤلاء القوم المتوحشين، وأنتِ ابنتي وفلذة كبدي (يضمها إلى صدره) كلَّا كلَّا!

بارتينيا: يجب ذلك يا أبتاه؛ لأن أمِّي يكاد يقتلها الحزن، فكفكف دموعها بيديك الطاهرتين، أما أنا فلا زلت فتاةً صغيرة قوية، أستطيع تحمُّل الآلام، ولكنها تقتلك قتلًا. فبحق الآلهة يا أبتِ إلا ما ذهبت إلى أمي حرًّا، وتركتني هنا وحدي!

ميرون: هنا حيث يتهددك الموت؟ هنا حيث الغطرسة والإهانة والقسوة والشدة، وكلها أَمَرُّ من الموت؟ لا لا، وخير لي أن هذا الخنجر …

بارتينيا (تخطف الخنجر من يده)**:** أعطنيه يا أبتاه ولا تَخَفْ، فإما أن أعيش جديرة بأن أُدْعى ابنتك، وإما أن أموت به!

أنجومار (وهو يتحادث مع قومه في الخلف)**:** فليكن ذلك ولتبقَ الفتاة.

ترينوبانتيس: خير لنا أن نبقيهما معًا.

أنجومار: كلَّا فهذا ينافي الشرف؛ لأنها أتت واثقةً بنا، فلا نخيِّب ظنَّها فينا (متقدِّمًا إليها) قَبِلْنَا اقتراحك يا فتاة، وسنبقيك عندنا ضمانًا، أما أبوك فقد أطلقناه حرًّا.

بارتينيا: شكرًا لكِ أيتها الآلهة!

ميرون: لا لا! بل أنا أسيركم، وسأبقى هنا، أما هي فدعوها ترجع.

أنجومار: من ذا الذي يكترث لقولك؟ اخرج من هنا!

ميرون: ابنتي ابنتي (يتعلق بها).

بارتينيا: اذهب. اذهب يا أبي.

ترينوبانتيس (ماسكا ميرون)**:** هلمَّ اخرج من هنا.

بارتينيا: لا تقبض عليه بهذه القسوة، ها هو يخرج طائعًا مختارًا. اذهب يا أبي ولا تتردد، اذهب اذهب!

ميرون: سأعود أيها الأوغاد ولكن لِأُهْلِكَكُمْ أجمعين!

أمبيفار: اقتلوه!

بارتينيا: لا لا. لا تقتلوه!

أنجومار: لا، بل آمركم أن تحرسوه إلى الحدود، وليذهب أحدكم معه.

ميرون (وهو يسحبه أحد المتوحشين)**:** الوداع يا بارتينيا، الوداع يا ابنتي (يخرج مع المتوحش من الشمال).

بارتينيا: الوداع! لقد ذهب ولن أراه بعد اليوم (تخفي وجهها بيدها وتذهب إلى الخلف وهي تبكي).

أنجومار (مستندًا إلى صخرة وهو ينظر خلف ميرون)**:** ها هو يقف ليبكي مرة أخرى! مسكين ذلك الشيخ الجبان! حقًّا إن الجبن شيء غريب، حتى لأشتهي أن أعرف ما هو الجبن! ولكن أين الفتاة؟ أتبكين أيضًا! أهذا هو السرور الذي تفاخرين به؟

بارتينيا: لأني لن أراه بعد اليوم.

أنجومار: ماذا، هل استبدلنا شيخًا جاهلًا بفتاة منخلعة القلب تبكي؟ حسبي ما شاهدت من دموعه.

بارتينيا: ما دمت تحتقر الدموع، فلست بباكية قط (تمسح دموعها وتذهب إلى الخلف).

أنجومار: لا بأس، إنها لفتاة شجاعة تملك زمام نفسها، وإذا صدقت فيما قالت نكون قد ربحنا من هذه المبادلة ولم نخسر (لنفسه) قد أحببت الفتاة؛ إذ تقول إنها لن تبكي قط، ولكن … إلى أين أنت ذاهبة؟

بارتينيا (وهي حاملة آنيتين من أواني الماء): ... إلى أين ذاهبة؟ إلى النهر؛ لأغسل هذه الأواني.

أنجومار: لا، بل ابقي معي وحدثيني.

بارتينيا: عندي واجبات يجب أن أؤديها (متظاهرة بالخروج).

أنجومار: قفي! أمرتُك أن تقفي أيتها الأسيرة.

بارتينيا: لست أسيرة بل أنا رهينة، وها أنا ذاهبة لأغسل الأواني (تخرج من الشمال).

أنجومار: هذه فتاة قوية الإرادة، «لست أسيرة وإنما رهينة»! «عندي واجبات يجب أن أؤديها»! وتهز رأسها كأنها تحمل ما في الدنيا من الذهب! «لن تراني باكية»! يسرني منها هذا العناد؛ لأني أحب المقاومة، وأعشق حصاني عندما يصهل ويعصاني، وأحب الجبال ما دامت وعرة، والبحر ما دام مضطربًا مُزْبدا، كل هذه تملؤني حياةً وسرورًا، أما السكينة والكسل، فهما الموت بعينه، وما الحياة إلا في مجالدة الأبطال (تعود بارتينيا بالأواني ومعها باقة من زهور الجبال فتضع الأواني وتجلس بجوار صخرة) آه ها هي قد عادت (يتقدم نحوها) ما الذي تفعلين؟

بارتينيا: أنا؟ أعمل تيجانًا.

أنجومار: تيجانًا (لنفسه مسرورًا) يخيَّل لي أني رأيت هذه الفتاة من قبلُ في أحلامي؛ لأنها تشبه أخي الذي مات طفلًا، فشعرها أسود مثل شعره، وعيناها براقتان كعينيه، حتى صوتها يشبه صوته، وأفضِّل أن أبقى معها عن النوم وراحة البدن. (لها) إذن فأنتِ تُسَمِّين ما تصنعين تيجانًا؟

بارتينيا: نعم.

أنجومار: ولماذا تصنعينها؟

بارتينيا: لأضعها على هذه الخوذات.

أنجومار: كيف؟

بارتينيا: أليس ذلك من عاداتكم؟ إننا في مدينتنا نضع الأزهار على رءوسنا وصدورنا.

أنجومار: وما فائدة هذا اللهو؟

بارتينيا: فائدته؟ فائدته أن الأزهار جميلة ورؤيتها تَسُرُّ العيون ورائحتها تنعش القلوب (تضع تاجًا من الزهر على خوذة وتقدمها إلى أنجومار) ألا تراها جميلة الآن؟

أنجومار: نعم وأقسم بالشمس الزاهرة! علِّمي نساءنا صنع هذه التيجان.

بارتينيا: سأعلمهن، فتصنع لك زوجتك تيجانًا مثل هذا.

أنجومار (ضاحكًا)**:** زوجتي! لا زوجة لي إلا حربتي ودرعي وسيفي؛ لأني لا أحب أن أشتري النساء.

بارتينيا: تشتري النساء! كيف؟!

أنجومار: أفي كلامي ما يدعو للعجب؟

بارتينيا: ما هذا؟ أتساومون على النساء كما تساومون على الأرقَّاء، أو كما تشترون الماشية والأنعام؟!

أنجومار: إني أعتقد أن المرأة لا تصلح إلا لتتزوج عبدًا، تلك عاداتنا ولكم عوائدكم، فماذا تفعلون في مدينتكم؟

بارتينيا: هنالك نستشير قلوبنا؛ لأن بنات ماسيليا تلك المدينة الحرة لا تُباع النساء ولا تُشترى، ولكن يختارهن الأزواج، ولا يشتريهن إلا الحب.

أنجومار: والحب يربطكم برابطة الزواج؟ وهل يحب نساؤكم أزواجَهن؟

بارتينيا: بالتأكيد، وإلَّا فلماذا يتزوجن؟

أنجومار: إذن فهن يتزوجن لأجل الحب! إن هذا لعجيب، لا أستطيع فهمه، فأنا أحب حصاني وكلابي ورفاقي الشجعان، ولا أحبُّ النساء! فماذا تقصدين بالحب؟ وما الحب يا فتاة؟

بارتينيا: الحب؟ الحب أحلى الأشياء وأجملها، بل هو جنة الدنيا ونعيم الحياة، هذا ما قالته لي أمي؛ لأني لم أكابده ولم أذق له طعما.

أنجومار: أبدًا؟

بارتينيا: أبدًا. انظر إلى هذا التاج، كم هو جميل! لو كنت وجدت زهرة حمراء لوضعتها هنا.

أنجومار: في تلك الغابة تنبت الأزهار الحمراء.

بارتينيا: هناك؟ ما أجمل اللون الأحمر! اذهب وأحضر لي شيئًا منها.

أنجومار (مندهشًا)**:** أُحضِر لك زهرًا؟ أيخدم السيدُ عبدَه؟! (يحدق فيها النظر فيرتاح إليها بالتدريج، ثم يقول لنفسه) ولكن لماذا لا أذهب؟ وها الفتاة تَعِبَة؟

بارتينيا: أراكَ مترددًا.

أنجومار: سأحضر لك الأزهار غضةً يانعة (يخرج من اليمين).

بارتينيا (ممسكة التاج بيدها)**:** إن انتصاري باهر! ولكن ما قيمة هذا النصر بين هؤلاء المتوحشين وحيث لا تشهده أمي فتبسم لي؟ وما أنا هنا إلَّا وحيدة! ولكن لا، لن أبكي قط؛ حتى لا يقال إني خائفة.

(يدخل أنجومار حاملًا زهرًا أحمر وهو يمشي ببطء إلى بارتينيا.)

أنجومار (على حِدَة)**:** كذلك كان أخي الصغير عندما يريد مني شيئًا، يتدلَّل عليَّ ويصمم على رأيه، فأطيعه راغبًا أو مضطرًّا. وها هي الآن تكلمني بنفس تلك الإرادة وذاك العزم؛ فحلَّت في قلبي محلَّ أخي (لها) ها هي الأزهار!

بارتينيا (تأخذ منه الأزهار)**:** شكرًا لك! ولكنك قطعتها قصيرة العنق (ترمي بعضها).

أنجومار: هل أحضر لك غيرها؟

بارتينيا: كلَّا، هذا يكفي.

أنجومار: فلأجلس بجانبك! حدثيني الآن عن مدينتك (يجلس).

بارتينيا: لقد جلست على الأزهار فأتلفتها.

أنجومار (ينتقل من مكانه ويجلس عند أقدامها)**:** لا بأس لا بأس، فلأجلس هنا إذن. فقولي لي الآن، ما اسمك؟

بارتينيا: اسمي بارتينيا.

أنجومار: بارتينيا؟ اسم جميل! أخبريني إذن يا بارتينيا عمَّا تسمينه الحب، وكيف يتسرب إلى القلب؛ لأني أرى هذه الكلمة بعيدة الغور.

بارتينيا: لست أدري ماذا أقول، ولكن أمي قالت لي: إن الحب هو زهرة غضة، أو هو نظرة تلهب القلب نارًا لا تطفئها مياه العالم، تزيدها الأحلام الْتِهَابًا، ويزيدها التفكير اشتعالًا! أو هو نجم زاهٍ من نجوم السماء، يضيء لنا ظلمة الحياة التي نتخبط فيها. أو هو نعمة من نعم الآلهة، خَلَّفوها في الأرض عندما صعدوا إلى السماء، أَنَفَةً من الدنيا، وزهدةً فيها!

أنجومار: لم أسمع في حياتي ألذَّ من هذا القول، ولكني لا أفهمه.

بارتينيا: ولا أنا؛ لأني لم أشعر به قط. ولكن أمي كانت تغني لي أغنية قديمة في الحب أذكر أنها قالت فيها (متمهلة):

أسائلها: ما الحُبُّ؟ قالت ضحوكة: أتسألني والقلب أعلم بالسر؟!
فؤادان يضطربان إن ذكر الهوى وروحان ممتزجان كالماء والخمر
هو الحب لا يُدْعَى ولكنه هدًى يُضيء لنا ما أظلم من صحف العمر
هو الكوكب الزاهي المخلَّد نوره وهيهات هيهات يفنى خالد الذكر!

فقلت لها ... (تتردد متلعثمة ناسية).

أنجومار: تممي تممي!

بارتينيا: لقد نسيتُ بقية الأنشودة.

أنجومار: حاولي أن تتذكريها.

بارتينيا: لا أستطيع الآن، ولعلي أتذكرها في فرصة أخرى.

أنجومار (بشيء من الحدة)**:** بل الآن، الآن!

بارتينيا (تنهض منزعجة)**:** ليس الآن؛ لأني أريد أزهارًا أخرى لأعمل لي تاجًا، وها أنا ذاهبة لأجمع زَهرًا، فاحْرُسْ أنت هذا التاج وهذه الأزهار (ترمي الأزهار والتاج الذي عملته في حجر أنجومار وتخرج تجري مسرعة).

أنجومار (بعد سكوت برهة وهو يتكلم لنفسه بصوت منخفض)**:**

فؤادان يضطربان إن ذُكر الهوى وروحان ممتزجان كالماء والخمر

الفصل الثالث

(المنظر كما في الفصل الثاني تمامًا.)

(يدخل أَلَسْتور وأمبيفار وترينوبانتيس وسامو وغيرهم من المتوحشين، وذلك من الشمال.)

ترينوبانتيس: لا بأس يا أَلَسْتور، ولكن ماذا قال؟

أَلَسْتور: قال جوابه القديم دائمًا: انتظر إلى الغد، انتظر إلى الغد!

ترينوبانتيس: وما فائدة هذا الإرجاء والتأجيل؟ وبقية القبيلة تتعطش إلى القتال ولا تلبث أن تخوض غماره دوننا؛ فنُحرم من الأسلاب والغنائم، فلماذا لا ننتخب زعيمًا آخر؛ لأن أنجومار أصبح كأنه امرأة، يترك صحبتنا فنخرج للصيد وحدنا، وهو جالس على الحشائش متكاسلًا، يسمع قصص تلك الفتاة اليونانية وأغانيها! فانتخبوا زعيمًا غيره، هلمُّوا وأنا أقودكم!

أَلَسْتور: لا لا! لا زعيمَ إلَّا أنجومار، إنما يجب أن نُبْعِدَ عنه هذه الفتاة، فيعود كما كان.

سامو: ولكنها مِلْك له.

ترينوبانتيس: لا، بل هي مِلك للقبيلة كلها، ولكن كيف نبعدها عنه؟

أمبيفار: نبيعها رقيقةً لأحد تجار قرطاجنة، فإني أرى إحدى مراكبهم تلوح على بُعد، فهلموا نسير إليها، ونقبض على الفتاة ونبيعها لهم، فنأخذ بَدَلها خناجِرَ وسيوفًا!

أَلَسْتور: اسكتوا! فقد أقبل أنجومار، وسأختبره للمرة الأخيرة، أما أنتم فاذهبوا من هنا (يخرجون جميعًا من الشمال ويبقى أَلَسْتور وحده فيدخل أنجومار من اليمين).

أنجومار (وهو داخل متباطئًا): إلى الخيام إلى الخيام! أما أنا فهنا أقيم! ويلوح لي أني وُلدت في هذا المكان، وفيه رأيت ضياء الدنيا لأول مرة، وفيه حملتني الأفكار إلى عالم الخيال! فها هنا أقيم!

أَلَسْتور: ها أنا ذا يا أنجومار، أسألك مرة أخرى: متى نرحل عن هذا المكان؟ ألا تسمعني؟

أنجومار: أوه! هذا أنت يا أَلَسْتور، أتيت لتخبرني أن الأسماك قد سئمت الغدران، وأن الوحوش الضارية انتشرت في الغابات، وأن قطعاننا تكاد لا تجد ما ترعاه.

أَلَسْتور: هو ما تقول، وفضلًا عن ذلك، فإن رجال القبيلة يتحفزون للأخذ بثأرنا القديم، من قبيلة أَلُّوبروجي، فهل نتخلف عن أداء هذا الواجب؟

أنجومار: أنتخلف وأنا فيكم زعيمكم أنجومار؟ هذا لا يكون أبدًا! هيا إلى القتال! أين الرجال؟

أَلَسْتور: هنالك في الخيام، ينتظرون منك الأوامر.

أنجومار: أعطهم عسلًا وشرابًا بقدر ما تسمح به المئونة المدخرة، ودعهم يأكلوا ويشربوا.

أَلَسْتور: ما هذا، ألا ننهض إلى القتال؟

أنجومار: سأفكر في ذلك حتى الغد.

أَلَسْتور: إلى الغد مرة أخرى!

أنجومار: نعم، قلت لك إلى الغد!

أَلَسْتور: أراك قد تغيرت في القول وفي الفعل وفي الأخلاق، حتى أكاد لا أعرفك، وعلى كل حالٍ فسأنتظرك إلى الغد (يخرج من الشمال).

أنجومار: صدقت يا أَلَسْتور، فإني حقًّا أكاد لا أعرف نفسي، ولست أدري ما الذي يؤلمني، فكأني مسحور أو محموم، وأفكاري مضطربة حائرة (يستند إلى إحدى الصخور) الْتَقيتُ مرة بغزالة وابنتها فرمَيْتُ الأم بسهم نفذ إلى أحشائها، فخرَّت صريعةً وخضَّبت دماؤها الوادي، فتقدمت إليها لِأَحْمِلَها على كتفي فأقبلت نحوي الظبية الصغيرة، وهي

لا تدري ما حلَّ بأمها، تحملق فيَّ بعينين سوداوين كبيرتين، نظرةً ما زلت أذكرها ولا أفهم سرها! وكلما انظر إلى عيني بارتينيا، أتذكر نظرة تلك الغزالة الصغيرة؛ لأن في عيني هذه الفتاة البراقتين يَتَجَلَّى الكبرياء وعزة النفس (ينتصب بوحشية) ولكن ما هذا؟ أليس لك يا أنجومار من الشئون ما تفكر فيه إلَّا عيني هذه الفتاة الأسيرة ونظراتها؟! (يسمع صوت صلصلة سيوف وأصوات عالية) ما الذي أسمع، لقد سَكِرَ القوم، فنفخوا بوق الحرب، وحملوا السلاح لأقودهم إلى النصر والظفر، فابتعدي عني أيتها الخيالات؛ إذ لا رغبة لي في النساء. ولكن … ولكن بارتينيا ليست كنسائنا لابسات الجلود، وقد لفحت الشمس وجوههن، وتزَيَّنَّ بأقبح أنواع الزينة، يلتَمِسْنَ رضاء أزواجهن بمذلَّة وخضوع، فهي … (يسمع أصوات ضجيج وصليل سيوف في الخارج) أسمع الصياح مرة أخرى، وا أسفاه! وا أسفاه! كأن أوتار قلبي لا يهزها إلا صليل السيوف، إذن فأنا عليل مريض (يرتمي مستندًا إلى الصخرة).

(تدخل بارتينيا من الشمال وبيدها سلة صغيرة وتتقدم بدون أن ترى أنجومار.)

بارتينيا: إن أبي الحنون، وأمي المسكينة، يفكران فيَّ الآن، وربما يظنان أني معذبة أتحمل الآلام أو أنني قَدْ مِتُّ وانطوى خبري طيَّ السر في الفؤاد، ولكني في الحقيقة أستمتع بنعيمٍ ما كنت لأحلمَ به بين هؤلاء المتوحشين؛ لأنهم، مع ما هم عليه من الوحشية والخشونة، فإنهم ليسوا قساةً غلاظَ الأكباد، أما زعيمهم أنجومار، فإنه حنون رقيق الفؤاد، ولو أنه في بعض الأحيان، يَقْسُو عليَّ حتى لا أشك في أنه لا محالة قاتلي (تتلفَّت حولها) آه ها هو أنجومار.

أنجومار (ينهض)**:** بارتينيا! أين كنتِ؟

بارتينيا: كنت في تلك الغابة أجمع بندقًا حتى ملأت هذه السلة فهل لك أن …

أنجومار (مقاطعًا)**:** لا لا.

بارتينيا: لا لا! شكرًا لك، أظن أنه كان يمكنك أيضًا أن ترفض مع الشكر، بدلًا من أن تقول لي كلمة «لا» وحدها. ألم تسمع؟ لماذا تحملق فيَّ هكذا؟

أنجومار: ابتعدي عني، اتركيني! أريد البقاء وحدي (تتظاهر بارتينيا بالذهاب) لا لا. بل امكثي هنا، امكثي معي يا بارتينيا! آه وددت لو كنتِ رجلًا.

بارتينيا: رجلًا!

أنجومار: نعم، عند ذاك تكونين رفيقي في صيدي، وأخي في قومي، فألازمك كَظِلِّك وأحرُسك في نومك، وأشارِكِك في تعبك ونصَبك. فكما أن الماء مرآة تعكس ما يتجلَّى في السماء، وكما ينطبع على صحيفة الغدير الصافي صورةُ ما ينبت على حافتيه من الزهور اليانعة، كذلك أكون لك، وتكون روحي لروُحِك، أفرح لفرحك وأحزن لحزنك:

روحان من عالم الأرواح طارا لغاية　　وقلبان يضطربان كالفلك في البحر

بارتينيا: هذه هي الأغنية القديمة التي علمتنيها أمي.

أنجومار: بل هي الأغنية التي تلتهب في قلبي، وهي البرق الذي يلمع بين السحاب! ألم تقولي لي مرة إن الحب شعلة نار تُذْكيها نظرة وتزيدها الأحلام اشتعالًا؟ إن هذا لصحيح (مشيرا بيده إلى صدره) لأني أحس كأن هذه النار تضطرم هنا في صدري.

بارتينيا: ماذا، أهي نار الحب؟

أنجومار: ألم تقل لك أمُّكِ إن الحب نجم زاهٍ يضيء لنا ظلمة الحياة؟ وها أنا أرى ضياء ذلك النجم تلمع جلية واضحة، تضيء ظلمة حياتي.

بارتينيا: أرى عينيك تلمعان لمعانًا غريبًا، ووجنتيك تلتهبان الْتِهَابًا، فيا للآلهة!

أنجومار: دعي الآلهة مستريحين في السماء، وليسلبوا الأرض النعمة التي نسوها فيها. ألم تقولي لي إن الآلهة عندما هجروا الأرض إلى السماء وأخذوا نِعمهم معهم نسوا في الأرض نعمة الحب، فكانت نعيم الناس؟ إذن فلنُحِبَّ ولْنَحْيَ! (يمسكها من يدها.)

بارتينيا: ابتعد عني.

أنجومار (غاضبًا)**:** كذلك أمسكك يا بارتينيا! فأنت لي!

بارتينيا (تتراجع إلى الوراء مذعورة)**:** لا تقترب مني! ابتعد عني وإلا قتلت نفسي (تُشْهِرُ خنجرها في يدها مصوبة إلى صدرها).

أنجومار: حسبك لا تفعلي! لماذا أقف جامدًا في مكاني؟ ما هذا الرعب الذي تولاني؟ ألست أنجومار وتلك أسيرتي؟ ما هذا الغضب الذي يتجلَّى في عينيها فيخيفني وما تعودت الخوف من قبل؟!

بارتينيا: يا لتعاستي وشقائي!

أنجومار: لقد أخفتك بغضبي؛ لأني اندفعت بغير روية، لوحشية خُلقي وخشونة طباعي، ولكنَّ حبي …

بارتينيا: حبك! إن هذا ليس حبًّا؛ لأن الحب الذي أشعر به وقد ملأ قلبي ليس إلَّا سرًّا إلهيًّا خفيًّا، كله حنان وعطف وإنكار للنفس، يُشرِّف ولا يَضَع، ولو كان نارًا فإنه نار دفء وطمأنينة، لا تؤذي ولا تضر. فابتعد عني ولا تدنس لفظة الحب المقدسة؛ لأن العاطفة التي تشعر بها أنت، ليست حبًّا قط، بل ثورة حِدَّةٍ وغضب (تتظاهر بالخروج).

أنجومار (بلهجة الآمر)**:** قفي قلتُ لكِ! ألا تعلمين من أنا؟ أنا زعيم قومي! تُردِّد هذه الجبال الشامخة شهرتي وفعالي، أنا سيدك يا فتاة، فمن تكونين أنت؟

بارتينيا: من أكون؟ أنا بارتينيا، ابنة صانع أسلحة حقًّا، ولكني يونانية. أنا ابنة مدينة ماسيليا الحرَّة، رضعت ثدي أمي، ونشأت بين ذراعي الجَمال والحضارة، ورُبِّيتُ منذ طفولتي تحت رعاية آلهتنا العادلة. أما أنت، فابن الجبال والغابات، طريد العدالة والحضارة، أنت وحش بربري، تخرِّب الديار العامرة، وتسلب قطعان الأغنام. ألا تعلم أننا في وطننا نجلد اللصوص ونشنق قطاع الطرق!

أنجومار: ويحك أتجسرين …

بارتينيا: هل عرفت الآن من أنا ومن أنت؟

أنجومار: أتحتقريني وتبغضيني! إذن فقسمًا بجميع الآلهة لأعلمنَّك كيف نعامل أَسْرَانا!

بارتينيا: أعرف أنكم تعذبونهم بالكرباج والجوع والألم والعطش، ولكنهم لا يحبونكم، بل يكرهونكم ويحتقرونكم مثلي!

أنجومار: اسكتي وإلَّا …

بارتينيا: لست أخشاك، بل أحتقرك، وأكرهك.

أنجومار: حياتك …

بارتينيا: خذها!

أنجومار (هاجمًا عليها بسيفه المسلول ثم يتوقف فجأة)**:** لا لا، لا أستطيع، لقد أهاج الغضب دمي، ورأسي يكاد ينفجر، حتى لأود أن أمزق الدنيا ونفسي إربًا (يرتمي على الأرض).

بارتينيا (بعد سكوت برهة)**:** ها هو سيفه ملقًى تحت أقدامي بعد أن كاد يمزق أحشائي، وها هو المسكين ملقًى فاقدَ الصواب! فهل تُرَاني كدَّرته؟ لست أدري كيف امتلأ قلبي بهذا الغضب الفجائي، وهذا الكبرياء وتلك الغطرسة؟ أصحيح ما أرى؟ وهل هو يبكي؟! لِمَ تبكي يا أنجومار؟

أنجومار (ناهضًا)**:** أنا أبكي؟ كلَّا كلَّا فأنا لا أبكي! أتحتقرينني أنا! أنا فخر قومي وفزع أعدائي (يسكت برهة وهو ينظر إليها بشدة) فارقيني! اذْهَبي عنِّي! فإني أستطيع الحياة بدونك! اذهبي اذهبي، فأنت حرة طليقة! ألا تسمعين؟ أنت حرة فاذهبي إلى بلدك ولا تترددي؛ لأن أنفاسك تؤذيني، وفي رؤيتك هلاكي، فاذهبي اذهبي (يخرج مسرعًا مندفعًا).

بارتينيا: ماذا؟ حرَّة! ألم يقل إنه أطلقني؟ فهل سأراكِ يا أمي مرة أخرى، وتفتح لي ذراعيك يا أبتاه؟ ولكن هل أتركه في هذا الغضب؟ وهو الذي خفَّف لي مرارة الأسر والعبودية؟ وها هو الآن قد أطلق سراحي، ومنحني حريتي؟ لا لا، سأنتظره حتى يعود، فأرضيه بكلمة طيبة مني، وأذهب إلى وطني قريرة العين مرتاحة القلب.

(تجلس على صخرة فيدخل من الخلف سامو ونوفيو وأمبيفار.)

سامو: ها هي وحدها، والقارب يقترب من الشاطئ، فهيا نقبض عليها (يهجم عليها نوفيو وأمبيفار ويمسكانها).

بارتينيا: آه! ماذا تريدون أيها السفلة؟

نوفيو: هلموا إلى الشاطئ!

بارتينيا: اتركوني أيها الأوغاد.

أمبيفار: صهٍ أيتها الدودة العمياء!

بارتينيا: أنجومار، النجدة! أنقذني يا أنجومار!

(يسحبونها بعنف إلى قرب خلف المسرح.)

أنجومار (في الخارج)**:** من ذا الذي يناديني؟ أليس هذا صوتها؟ (يدخل من اليمين) أمبيفار؟ سيفي سيفي (يتناول سيفه وكان لا يزال ملقًى على الأرض) قفوا أيها الأوغاد (يهربون بسرعة وأنجومار يتبعهم).

بارتينيا: لقد نجوتُ لقد نجوتُ!

(يدخل أنجومار مسرعًا من الشمال ويذهب إليها ويُمسك يدها.)

أنجومار: ها أنا ذا! أراك مصفرَّة ترتعدين، فهل أُصِبْتِ بشيء يا بارتينيا؟ استندي عليَّ. كيف تجاسرت تلك الأيدي الخشنة أن تقبض على هذه الزهرة الغضة؟ لِمَ ترتعشين؟ سأنتقم لكِ منهم حتى لا يجسروا أن يرفعوا إليك عيونهم.

بارتينيا: أسمع وَقْعَ أقدام، ها هم مقبلون.

أنجومار: لا تخافي شيئًا، وما دُمْتُ إلى جانبك فلا تستطيع أي قوة في الأرض أن تمسَّكِ بسوء.

بارتينيا: انظر، ها هم قد أقبلوا.

أنجومار: فليُقبلوا، إن يميني يقهر قبيلة بأجمعها.

(يدخل من الشمال بعض المتوحشين وأَلَسْتور ونوفيو وسامو حاملين حرابهم وشاهرين سيوفهم.)

أنجومار: قفوا مكانكم وتكلَّموا! لماذا أتيتم؟

أَلَسْتور: لقد جرحتَ أمبيفار جُرحًا قاتلًا.

أنجومار: نعم؛ لأنه تجاسر وَمَدَّ يده إلى هذه الفتاة، وهي ملكي أنا!

أَلَسْتور: ليست ملكك.

سامو: سلِّمها إلينا.

أنجومار: أُفرِّط في حياتي ولا أُفرِّط فيها.

نوفيو: أمسكوها.

أنجومار: أروني كيف تستطيعون ذلك!

بارتينيا (ترمي نفسها بين ذراعيه)**:** إنهم كثيرون وأخشى أن يقتلوك!

أنجومار (لها)**:** ابتعدي يا فتاة (لهم) تقدموا!

أَلَسْتور (يقف بين أنجومار والمتوحشين)**:** مكانَكم أيها الرفاق! واسمعني يا أنجومار، لقد انتخبناك زعيمًا على أن يكون خُمس الغنيمة لك، ولكنَّك مِلْتَ إلى الراحة والكسل، ورفعت شأن هذه الأسيرة؛ وبذلك نقضت العهد.

أنجومار: كلَّا لم أنقض عهدي، بل ذلك الخائن هو الذي نقض عهدي وعهدكم؛ إذ أراد أن يسلب حقي وحقكم بسرقة هذه الفتاة، فنال جزاءه. وفضلًا عن ذلك، فقد تعبت من الزعامة، فاذهبوا الآن واختاروا زعيمًا غيري. أمَّا هذه الفتاة فهي لي، وبما أن لي الحق في خُمسها، فسأدفع لكم أربعة أخماس فديتها، فإذا لم يُرضِكم هذا الحكم فالسيف يحكم بيننا.

ترينوبانتيس: خُمس الغنيمة! نعم قال ذلك.

سامو: أتوافقون؟

أَلَسْتور: خُمس الغنيمة! أليس هذا قولك؟

أنجومار: نعم.

أَلَسْتور: فليكن ما قُلْتَ، ولتكنِ الفتاة نصيبَك. ومع ذلك، فلو قبلت أن تقودنا كما قُدْتَنا من قبلُ، فنحن نطيعك بإخلاص طاعتنا الأولى.

أنجومار: لا، لقد تعبت، وسأبحث لي عن وطن آخر وعادات أخرى، فاذهبوا عني!

أَلَسْتور: فكِّر في قومك وفي أعدائك!

أنجومار: لقد فكَّرت في كل شيء، فالوداع (يخرج المتوحشون من الشمال) لقد خرجوا، وأنت الآن آمنة يا بارتينيا، وحرَّة طليقة! ولكن ما بال لونك ما زال مُصفرًّا، وأراك ترتعشين؟ إذن فاجلسي واستريحي قليلًا.

بارتينيا: آهِ يا أنجومار! شكرًا لك.

أنجومار: تشكرينني! وعلامَ الشكر؟

بارتينيا: لأن قلبك الرحيم أوحى إليك أن تذود عني، وتحميني في هذه الفيافي والقفار، إذ لولاك ما كنت لأجد لي وليًّا نصيرًا (تتناول يده وتقبلها) والآن … الآن أستودعك الآلهة!

أنجومار: تودعينني؟ ما الذي تقولين؟ ألا تذهبين معي؟

بارتينيا: لقد منحتني حريتي، وأريد العودة إلى أهلي.

أنجومار: منحتك حريتك؟ لعلك تحلمين؟

بارتينيا: هل تريد أن ترجع في كلمتك؟

أنجومار: كلمتي! وهل قلت لك هذه الكلمة؟

بارتينيا: نعم، قُلْتَها!

أنجومار: إذن فاذهبي! اذهبي اذهبي!

بارتينيا (خارجة)**:** فلتباركُكَ الآلهة!

أنجومار: بارتينيا! بارتينيا! بربك قفي! إن الشمس لن تطلع على الكون بعد اليوم! أتذهبين يا بارتينيا؟ أتتركينني وحدي؟

بارتينيا: والداي في انتظاري.

أنجومار: إذن فاذهبي! اذهبي إليهما، ولكن فكِّري في ظلمة الغابات، ووعورة الطرق والمسالك، فكِّري في الذئاب والدِّبَبَة! وانظري هل تستطيعين العودة وحدك؟

بارتينيا: لقد أتيت وحدي، وكذلك أعود.

أنجومار: إنك تضلين بلا شك، فيجب أن يذهب معك نوفيو وأَلَسْتور، مَن هناك!

بارتينيا: لا لا! بل أفضل الذئاب والدِّبَبَة، عن صحبة هذين الشِّريرَيْن.

أنجومار: صدقتِ يا بارتينيا، فالذئب لا يحمي الحَمَل، وعلى ذلك، فسأذهب معك بنفسي.

بارتينيا: أنتَ؟

أنجومار: نعم، فلماذا تخافين؟ أتحسبينني مثلهم؟ إني الآن لست منهم؛ لأنك علمتيني الخوف والبكاء، مع أني لم أعرفهما حتى في طفولتي، فلا تَشُكِّي فيَّ، بل ثقي بي واعتمدي عليَّ، وَلْتَشْهدِ الآلهة على ما أقول.

بارتينيا: لا لا! لا تقسم؛ لأن الصدق والطهر يتجلَّيان في عينيك، فاصحبني فإني واثقة بك.

أنجومار: ما دمتِ قد وافقتِ، فسأصحبك وأحميك من كل طارئ، بل أحملكِ على ذراعيَّ.

بارتينيا: لست طفلةً يا أنجومار حتى تحملني على ذراعيك، ولستُ أخشى التعب ومشقة الطريق، ولكن إذا كان لا بدَّ لك من أن تحمل شيئًا، فيمكنك أن تحمل …

أنجومار: أحمل ماذا؟

بارتينيا: هذه السلَّة.

أنجومار: السلَّة.

بارتينيا: نعم، سلَّة البندق، أَلَا تحملُها! (تتناول السلة من الأرض وتناوله إيَّاها.)

أنجومار: سأحملها.

بارتينيا: وأنا أحمل حَرْبَتَك ودرعَكَ وسيفَك (تأخذ أسلحته من الشجرة).

أنجومار: لا لا! هذا لا يكون.

بارتينيا: بل يكون؛ لأني مغرمة منذ طفولتي بالسلاح وحمل السلاح، وكأني وَرِثْتُ هذا الغرامَ عن أبي العزيز. والآن هَلُمَّ بنا، أنت تحمل سلَّتي، وأنا أحمل سلاحك. لماذا تقف جامدًا؟

أنجومار: كأنَّ كلَّ ما رأيته لم يكن إلَّا حلمًا، فهلمِّي إذن! مِن هنا (مشيرًا بيده إلى ناحية الصخور).

بارتينيا: سِرْ أمامي فأنت دليلي. سِر يا حامي حِمايَ وصاحبي!

(يخرجون وتنزل الستار.)

الفصل الرابع

(إلى الخلف تلوح مدينة ماسيليا وشاطئ البحر. إلى الأمام وفي الجهة اليسرى منظر صخور تظللها أشجار تحت ظلالها ممر ضيق يؤدي إلى المسرح.)

(يدخل ميرون ونيوكليس وإلفينور وذلك من الشمال.)

ميرون: وا خجلاه! وا خجلاه! إن الذئب ليساعد الذئب، أما هذه المدينة التي تفاخر بحضارتها وعدلها ونظامها، فإن أبناءها يذهبون ضحية الأسر والعبودية، ولا تحرِّك ساكنًا لحماية بنيها، بل تصمُّ آذانها، ولا تسمع استغاثتهم. فوا خجلاه! وا خجلاه!

نيوكليس: إنك لا تجهل يا ميرون أن القانون الأساسي يقضي بأن تحمي المدينة بنيها لغاية مرمى ظلال أسوارها، أما أنت فقد قبض عليك المتوحشون خارج هذه المنطقة.

ميرون: إنه لقانون عادل، وحماية أبوية حقًّا! لأنهم أولًا رفضوا مساعدة فتاة لا ناصر لها في دفع فدية أبيها، ولما ذهبت المسكينة وافتدت أباها من الأسر بنفسها، ها هم يرفضون مساعدتي، سواء بالمال أو الرجال، فيحق لي أن أصيح بأعلى صوتي قائلًا: وا خجلاه وا خجلاه! يا للعار يا للعار!

إلفينور: إننا لا نجهل أحزانك، ونشاركك في ألمك ومصابك، وعندما طلبت ابنتك منا المساعدة لم تترك لنا وقتًا نتدبر فيه وسيلةً لإنقاذك، بل إنها …

ميرون (مقاطعًا)**:** إنها لفتاةٌ حقًّا، ولكنها تحمل قلب رجل! آه يا ابنتي المسكينة!

نيوكليس: أنت تعلم أن لَيْكُونَ الصياد، هو الذي حمل إلينا نبأ وقوعك في الأسر، فاجتمعنا حوله لنستمع الخبر، ونتشاور في الأمر وكيفية المساعدة. وبصرف النظر عن ذلك، فإذا انضم رجال الشواطئ إلى أصدقائنا هنا في ماسيليا، فإن ابنتك تنجو لا محالة، وها قد أقبل لَيْكُونْ، ومعه بعض الأصحاب.

(يدخل ليكون ومعه بعض الصيادين والنساء.)

لَيْكُونْ: أين ميرون؟ ومَن هو فيكم؟ مَن هو والد تلك الفتاة الباسلة؟

ميرون: أنا أنا! هل أتيتم لمساعدتي وإنقاذ ابنتي؟

صياد: نعم نعم! مستعدون لبذل جهدنا.

لَيْكُونْ: نحن يونانيون، نحترم اليونان ونبغض المتوحشين، وإذا ضاعت علينا تلك الفتاة فيا لعار ماسيليا ويا لعار اليونان أجمع!

النساء: نحن النساء نسير معكم.

ميرون: فلتباركْكم الآلهة! ولْتُجزِكم على ذلك. ولكن يجب أَلَّا نُضيع يومًا واحدًا؛ خشيةَ أن يقتل المتوحشون ابنتي.

لَيْكُونْ: إذن فهلموا ننتشر في القرى والبلاد، ونثير ثائرة الصغار والكبار! فاذهب يا نيوكليس من اليمين، وأذهب أنا إلى الشمال، وأنت يا ميرون وإلفينور، انتظراني عند منزل ريساس الغني؛ لأنه وعدنا بالمساعدة. فهلموا الآن أيها الرفاق، هلموا هلموا!

(يخرجون ويبقى ميرون وإلفينور.)

ميرون: آه يا ابنتي يا ابنتي! هل سأراك مرة أخرى؟ لو كنت شابًّا قويَّ الساعد، لبذلت قوَّتي ومهجتي في سبيل إنقاذك.

إلفينور: حسبك حزنًا يا ميرون، هلمَّ بنا إلى منزل ريساس!

(يخرجان من الشمال، يظهر أنجومار وبارتينيا على الصخرة إلى الشمال.)

أنجومار: مِن هنا، مِن هنا يا بارتينيا.

بارتينيا: بل الطريق من هنا.

أنجومار: انتظري انتظري، تمهلي؛ لأن النزول من على هذه الصخرة خطر، ناوليني يدك (ينزلان من الطريق الضيق إلى المسرح) متى تثقين بي يا بارتينيا؟ أنسيت ما حدث بالأمس؟ عندما صممت على رأيك، وسرت في الطريق المخالف، فكدت تقعين في الهاوية العميقة لولا أني أخذت بيدك؟

بارتينيا: حقًّا لقد كنت على حافة الهلاك؟

أنجومار: لن يصيبك سوءٌ ما دمتُ معك.

بارتينيا: لقد أنقذتني من الموت، وبالأمس عندما كاد يقتلني البرد أوقدتَ لي حربتك، فدفئت وجرت دمائي في عروقي، فيا لك من وفيٍّ أمين!

أنجومار: تعالي من هنا، فقد انتهت سلسلة الجبال، وها الغابة تنبسط خلفنا.

بارتينيا: صدقت، وعندما كنت آتية لإنقاذ أبي ركعت على ركبتي في هذا المكان أصلي للآلهة، ضارعة خاشعة، أسألهم نصرتي والأخذ بيدي.

أنجومار: لا تؤلميني بهذه الذكرى، أظن أن منزلك بعيد من هنا!

بارتينيا (تلتفت إلى الخلف لترى ماسيليا)**:** انظر! هاكَ البحر يزبد ويضطرب، وهاكَ على مرمى النظر معبد أَرتميسْ فيا لحناني إليك يا ماسيليا! أحن إليك حنينًا يَهُزُّ قلبي وكلَّ جسمي! فأركع على ركبتي هنا، أسبِّح بحمدك أيتها الآلهة الخالدة، شاكرة لك فضلك العظيم عليَّ؛ إذ أنقذت أبي وَرَدَدْتِني إلى وطني! فشكرًا لكِ وحمدًا!

أنجومار (على حِدَة)**:** آه ليتني مِتُّ قبل هذا!

بارتينيا (تنهض وتتقدم مع أنجومار): سأرى أبي وأمي دامعةً باكيةً، ولكنها دموع الفرح والسرور، فأرتمي في أحضان الحنان والعطف، وأُقبِّل تلك الدموع الطاهرة، المنحدرة على تلك الوجنات الشاحبة! سلام عليك يا وطني! انظر يا أنجومار، أَلَا ترى ستار الليل بديعًا، وهو ينسدل على تلك المنازل والأبراج، فتحتجب وراءه! ما لي أراك مكتئبًا؟ وها أنت تراني أكاد أُجَنُّ من الفرح! أَلَم نقتسم حرارة الشمس وبرودة الليل؟ ألم نتشاطر وعورةَ الطريق ومشقة السفر؟ وها قد انتهى كل شيء، فيجب أن تفرح وتتهلَّل!

أنجومار: أفرح وأتهلل؟ هنالك في الغابات المخيفة، هنالك حيث السكينة الرهيبة، والمخاطر تحيط بك من كل جانب، والفزع متملك فؤادك، وفكرك كله منحصرٌ فيَّ وحدي، وآمالك كلها متجهة إليَّ، هنالك فقط كنت سعيدًا، بل أسعد الناس أجمعين! أما هنا، فإني أنظر إلى تلك الأسوار المنحوسة، وأراها ستفرق بيني وبينك، وستنزع روحك من روحي.

بارتينيا: نعم تذكرت؛ إذ هنا يجب أن نفترق. ولكن لا، هلمَّ معي إلى المدينة!

أنجومار: أنا؟ أأدخل هذا السجن المظلم، المحوط بأسواره؟ أأدخل عند أولئك اليونانيين المتمدنين، وأنا ذلك البربري الحر الطليق! كلَّا، وهذا هو الطريق الذي يؤدي إلى ماسيليا، وذلك يعود بي إلى الجبال، فيا ليتني ما رأيتك قط يا فتاة! والآن أستودعك الآلهة (متظاهرًا بالذهاب).

بارتينيا: بل انتظر حتى أعطيك شيئًا تتذكرني به في مستقبل الأيام، فَخُذْ هذا الخِنجر، على سبيل التذكار (تناوله خنجرها).

أنجومار: خِنجرك؟ إنه يذكِّرني بأني أسأتُ إليك يومًا بشراستي، فَهَمَمْتِ بقتل نفسك.

بارتينيا: بل يذكِّرك بأنك حميتني يومين وليلتين، بدون أن أضطر لاستعماله في الدفاع عن نفسي. والآن، الوداع!

أنجومار: لا لا، لا تتركيني، تزوجيني يا بارتينيا، فإني زعيم قومي، ورأس قبيلتي، ولا تَخْشِي من عوائدها الوحشية وخشونة أخلاقنا، وستكونين سيدة نفسك، سيدة القوم، بل مليكتنا! فهلمي معي وأنا أبني لك بيتًا خاصًّا تحت ظلال الأشجار، تنبسط أمامه المراعي الخصبة ترعاها الماشية والأنعام، وبجواره الغدران تجري، ويهب النسيم العليل، فيمتلئ قلبانا بالحب والسعادة والآمال، فهلمي معي إلى النعيم المقيم والهناء الخالد!

بارتينيا: ليت شعري ماذا أقول!

أنجومار: لِمَ تَغُضِّينَ عينيك صامتة وأنت التي قلت لي إن الحب الصحيح رقيق حنون تُنْكَرُ فيه النفس؟! وأقسم لك بالسماء وما فيها أن أكون لك أودع مِن حَمَلٍ وأَرَقَّ من زَهْرَة، أقرأ في عينيك كل ما تريدين، وآتيك به حتى لو كان في السماء أو الماء، فتعيشين معي ذات مالٍ وافر، شريفةً سعيدة. فلا ترتابي، هلمي معي ولا تذكري الفراق!

بارتينيا: لا تكلمني بهذه النغمة الساحرة.

أنجومار: ألا تقبلين؟

بارتينيا: مهلًا.

أنجومار: لا لا، فأنت مرتابة فيَّ، بل تكرهينني.

بارتينيا: كلَّا، بل أحترمك وأراك شريفًا.

أنجومار (مكتئبًا)**:** ولكنْ لا تحبينني.

بارتينيا: أيرضيك أن أهجر أبي وأمي وهما في الشيخوخة؟ وهل أنسى تلك السنين الطويلة التي أَوْلَيَاني فيها الحنان والحب، وهل أهجر تقاليدي ودياري لألحق بقومٍ أغراب، هم أعداء وطني؟

أنجومار: أعرف أنك تحتقرينني.

بارتينيا: لا لا، وأقسم بحياتي! لأني أراك في أرفع منازل النبل والشرف، بل أراك نجمًا زاهيًا زاهرًا، لولا سحابة خفيفة تُظَلِّلُكَ قليلًا. فيا ليتك كنت يونانيًّا تعرف الحقوق والقوانين والنظامات، ولكنك من قوم لا إله لهم غير القوة والبطش، ولا حاكم لهم إلا السيف، ولو لم تكن ذلك (تسكت قليلًا).

أنجومار: لماذا تسكتين؟ بل قولي واجهري بالقول، قولي لو لم أكن ذلك البربريَّ المتوحش كما تسمينني، قولي لو لم أكن مغتصب القطعان والأغنام، قولي لو لم أكن ذلك اللصَّ السفاح قاطع الطرق، قولي وأعيدي ما قلتيه لي من قبل!

بارتينيا: أنجومار!

أنجومار: أعرف كل ذلك، وأعرف الهوَّة التي تفصل بيننا، وأنك تخجلين من صحبتي وأنك تخافين لَوْمَ أهلك ومواطنيك من اليونانيين المتمدينين، الذين يهزءون برجل وحشيٍّ مِثْلِي، فصُحبتي تجلب لك الخجل، بل العار، وإنك لَمُحِقَّةٌ في ظنونك، فالوداع!

بارتينيا: لا تتركني غاضبًا!

أنجومار: غاضبًا! آه يا بارتينيا، ليتك تستطيعين أن تري قلبي! أنا أنا ... ولكن كفى ... فالوداع (يخرج مندفعًا).

بارتينيا: أنجومار! تعالَ واستمع لي! آه ... إنه لا يكترث لقولي، فذهب ولن أراه إلى الأبد! فما هذا؟ لقد تغيرت الدنيا فجأة؛ إذ كان كل شيء في عيني زاهيًا مشرقًا، فأمسى مظلمًا عبوسًا، حتى لَيُخَيَّلُ لي أن أزهار الوادي قد ذَبلَتْ وذَوَتْ، وجَفَّتْ أوراقها الناضرة! فكأن الربيع قد مات ولم يكن من قبل حيًّا (تبكي) لماذا أبكي وما هذه الدموع؟ لا لا، لا يجوز لي أن أبكي، وعليَّ واجبات يجب أن أُؤَدِّيَها، فانْهَضي يا بارتينيا فإن وطنك ينتظرك، حيثُ والداي وأصحابي! آه يا أنجومار لقد فَقَدْتُكَ إلى الأبد ولن أجد عنك بديلًا (تبكي).

(يعود أنجومار وهو يتقدم ببطء.)

أنجومار: بارتينيا!

بارتينيا: لقد عُدْتَ إليَّ مرةً أخرى.

أنجومار: لقد عُدْتُ ولن نفترق، وسأذهب معك إلى المدينة، وأكون يونانيًّا.

بارتينيا: ماذا تقول؟

أنجومار: نعم سأصير يونانيًّا حتى لا تحتقريني يا بارتينيا، أو تخجلي من صُحبْتي. ولقد تركتُ على الأعشاب درعي ورمحي، كما هجرت من قبل قومي، وسأتخلى عن عوائدي وطباعي، وأتعلم عوائدكم وطباعكم، ومنذ صمَّمت على هذا العزم، شعرت في نفسي بالنشاط والقوة.

بارتينيا: إذن فستأتي معي.

أنجومار: ولست أجهل أنه يجب عليَّ فهم أمور كثيرة، ولكنك ستعلمينني كل شيء، وعندها تحبينني؛ لأني أسمع صوتًا خارجًا من أعماق قلبي، كأنه صوت الآلهة، يوحي إلى نفسي أنك ستحبِّينَني.

بارتينيا (لنفسها على حِدَة): وإذا لم أحبَّك فمن ذا الذي أحبُّه في هذا العالم؟ (له) إذن فستذهب معي إلى ماسيليا، ولكن لا يعرفك هناك أحد، فمن الذي يأويك؟

أنجومار: يأويني؟ إني أطلب من أول شخص يقابلني شيئًا من المِلح والوقود ولا أحتاج لغير ذلك، وها أرى شخصين مُقبِلَيْن نحونا، وأظنهما يونانيَّين، إذن فلـ...

بارتينيا: إنه أبي، نعم أبي (تجري إليه مسرعة).

أنجومار: أبوها! يا لَحُسْنِ حَظي (تعود بارتينيا وميرون وإلفينور).

ميرون: ابنتي العزيزة عادت إليَّ؟ وا فرحاه! يجب أن أشكر الشجاع الباسل الذي ... من هذا الذي أرى؟ (إلى إلفينور) أحد المتوحشين، الهربَ الهربَ!

بارتينيا: لا تَخَفْ يا أبتاه، فهذا أنجومار الذي رَدَّ لي حريتي، ورافقني إلى هنا يحرسني.

ميرون: ماذا تقولين؟ أهو فَعَل ذلك؟ وهل أتى وحده؟

بارتينيا: لقد أتى صديقًا مُسَالِمًا، فاذهب إليه يا أبي، واعطف عليه كما كان يعطف عليَّ، هَلُمَّ إليه يا أبتاه (تأخذه من يده وتذهب به إلى أنجومار ثم تلتفت إلى إلفينور) وأنت يا إلفينور، قل لي كيف حال أمِّي؟

ميرون (على حدة)**:** حقيقةً لقد أتى وحده وليس معه أحد من قومه، إذن فلأتقدم إليه مطمئنًا (يتقدم نحو أنجومار مترددًا) أنا أنا … أشكرك … فمرحبًا بك … إني أرحب بك … جدًّا، وما كنت لأظن أني سأراك بهذه السرعة … أظنك أتيت لأجل الفدية؟

أنجومار: ما هذا؟

ميرون: لا تغضب، فإني لم أحصل على الفدية بعدُ، وغاية ما هناك أني حصلت على شيء قليل منها، وسأعطيك ما اقتصدته.

أنجومار: أيها الشيخ، لقد دَفَعَتِ ابنتُك فديتَك بنفسها، وأنا اشتريتها من قومي ورددت عليها حريتها.

ميرون (مندهشًا)**:** أنت!

أنجومار: والآن أتيت أخطب وُدَّكَ وأرجو صحبتك، وأن أعيش معك.

ميرون (متلعثمًا)**:** تعيش معي! أنت؟! إنك لزعيم المتوحشين.

أنجومار: لا أنكر أني كنت عدوَّك وأنك كنت أسيري، وأني عاملتك معاملة الأسرى، ولكنني رَدَدْتُ عليك ابنتك وأتيتك مسالمًا، فتناسَ الماضي ولعلك تجد من وفائي وإخلاصي أكثر مما وجدت من بغضي وعداوتي، أتخشى أن تضع يدك في يدي؟

ميرون: أخشى؟ لا لا، اليونانيون لا يخافون، ولكن هل أنت واثق أنك أتيت وحدك؟ فأنا أنا … لا أخشاك، ولكن بني وطني لو رأَوك …

أنجومار: قل لهم إن أنجومار قد أتى وحده، يريد الإقامة بينهم، وإذا كان أحدهم يحمل لي ضغينة على سيئة مَضَتْ، فليتقدم إليَّ، وليتقدموا إليَّ أجمعين.

ميرون: رحماكِ أيتها الآلهة، إنه سيقاتل المدينة كلها!

أنجومار: إني لا أعبا بهم ولا أكترث لهم. أما أنت أيها الشيخ فسأتخذك صديقي بل وأجعلك في منزلة أبي، فناولني يدك، كما لو كنت ولدك (ميرون يناوله يده بعد تردد) شكرًا لك. خذني الآن إلى بيتك، وعلمني عوائدكم، لأكون يونانيًّا مثلكم.

ميرون (منزعجًا)**:** آخذك إلى منزلي؟

أنجومار: نعم وسيكون منزلك مقدسًا كمعابد الآلهة.

ميرون: تريد أن تكون يونانيًّا وأن أعلِّمَك ذلك! أنا … أنا … أنا … أشكرك كثيرًا جدًّا ولكني رجل فقير، وإذا أَضَفْتُك في منزلي، فيجب أن تشاركنا في فقرنا ومتاعبنا وتعاستنا.

أنجومار: وهل أخشى الفقر وقد هجرت قومي وعشيرتي وبلادي، وخرجت من كل ذلك صفر اليدين؟ أو أخشى المتاعب والتعاسة وبارتينيا إلى جانبي؟! هَلُمَّ هَلُمَّ أيها الشيخ ولا تهزأ بي، بل قل لي ما الذي يجب عليَّ فعله؟

ميرون (ضاحكًا)**:** يجب عليك قبل كل شيء أن تخلع هذه الجلود التي تلبسها.

أنجومار: أخلع جلدي (ينظر إلى ملابسه) هاها فليكن ذلك، ثم ماذا؟

ميرون: وأن تقصَّ شعر رأسك ولحيتك.

أنجومار: شعري ولحيتي؟! هذا لا يكون أبدًا، فإن هذه الشعور هي فخرنا، والدليل على شرف مولدنا وحريتنا (يلتفت فيرى بارتينيا تنظر إليه) ومع ذلك ... فليكن، لا بأس سأقص شعري.

ميرون (على حدة)**:** تدهشني وداعته، مع أنه كان وحشيًّا (إليه) ثم عندي حقول ومزارع تحتاج إلى أيدٍ عاملة، تشتغل فيها بالفأس والمحراث ويجب عليك أن ...

أنجومار: ماذا؟ أنا أشتغل خلف المحراث، أنا أتناول هذا العمل الدنيء الذي لا يشتغله إلا عبد رقيق؟! كأنك تريد أن تستأسرني وتجعلني عبدك!

ميرون: لا تغضب لا تغضب، فأنت الذي أردت أن تكون يونانيًّا، ونحن هنا قوم فقراء يجب علينا أن نكدَّ ونشتغل، فأنا أشتغل وزوجتي تشتغل وبارتينيا تشتغل أيضًا ...

أنجومار: أتقول إن بارتينيا تشتغل أيضًا؟

ميرون: نعم، يجب عليها ذلك.

أنجومار: بارتينيا؟ لا لا، لن أجعلها تشتغل أبدًا، وسأقوم مقامها في كل الأعمال، حتى ولو كان ذلك وراء المحراث، فماذا تريد مني أيضًا.

ميرون: ويجب عليك أيضًا أن تشتغل معي في المصنع لتتعلَّم صنع السيوف والدروع.

أنجومار: هذا أعمله بكل سرور؛ لأنه عمل مجيد، تستخدم فيه القوة لأجل القوة فما أجملَ المطرقة الضخمة وهي تنزل على الحديد بضرباتها الثقيلة، فيلتوي[1] ...

[1] حتى هذا الموضع تنتهي صفحة رقم ٦١ من مخطوطة مسرحية «أنجومار». وللأسف الشديد وجدنا أربع صفحات مفقودة من المخطوطة، وهي صفحات ٦٢–٦٥. والجزء التالي يبدأ من صفحة رقم ٦٦، وهو تتمة لحوار ميرون؛ كما يتضح من السياق.

ميرون: ويكفي لإثبات ذلك أن يراه الإنسان مرة واحدة، وهو يشتغل خلف المحراث في المزرعة، أو بين المطرقة والسندان في المصنع، فيعلم أن أنجومار رجل همة وشرف. ولقد أصبح ربحي الآن يعادل ثلاثة أمثال ما كان عليه من قبل؛ وذلك بفضل نشاطه وأمانته (يتناول حزامه من زوجته ويلبسه) فلا تخافي ولا تفزعي؛ لأنه يظهر أنهم يطلبونني في المجلس، لاستطلاع رأيي وأفكاري فقط؛ لأني أعرف أولئك المتوحشين حق المعرفة، وقد عشت بينهم حينًا من الدهر، فأصبحت لا أخشاهم. هيا بنا يا نيوكليس (يخرجان من الشمال).

أكتيا: الأعداء على الأبواب! ويظن ميرون أنهم يطلبونه في المجلس لاستطلاع أفكاره، وربما كانوا يطلبونه لمعاقبته.

بارتينيا: لا تخافي يا أمي؛ لأن أنجومار قد أقام في المدينة بإذن الحاكم.

أكتيا: ولكنه قد جلب إلينا المصائب.

بارتينيا: وهل تنسين أنه هو الذي رَدَّ عليكِ ابنتك؟

أكتيا: لا أنسى ذلك، ولكن بوليدور مُحِقٌّ في أن يقول ...

بارتينيا: أماه! يجب ألا تسمعي كلام ذلك الوغد الخبيث النية.

بوليدور (في الخلف): أيقال فيَّ هذا القول؟

بارتينيا: ولماذا تسمحين له أن يُغَيِّرَ قلبك على أطهر وأشرف ...

أكتيا: كفى كفى! فإني أقول لك إن بوليدور ...

بارتينيا: لا أحب أن أسمع اسم هذا الرجل. ويدهشني أنه لا يزال يقتفي آثاري، وأنك لا زلتِ تستمعين له! ولذلك أقول لك يا أمي: إني أفضل شر أنواع الفقر والموت عن هذا الرجل الذي أكرهه أشد الكُرْهِ!

بوليدور (وهو لا يزال في الخلف): سأخفض من كبريائك وأقتل فيك هذه العاطفة مهما كلفني الأمر.

أكتيا: ولكنه يتهددنا يا ابنتي بـ ...

بارتينيا: يتهددنا؟ ذلك السَّفِلُ اللئيم؟ فليفعل ما شاء! فإني أحتقره وأكرهه، ولا أعبأ بتهديداته.

بوليدور (وهو يهدد بقبضة يده)**:** إذن فانتظري (يخرج من الشمال).

أكتيا: اسكتي لِئَلَّا يسمعك! ولكن لماذا تكرهينه إلى هذا الحد، مع أنه على الأقل لم يُشْهِر سيفًا في وجهك، كما فعل أنجومار، ولم يستعبد أباكِ، كما فعل أنجومار؟ وأقول لك الحقيقة، إني أكره منظره، وشَعْرَه الطويل ولحيته المتجعدة، وعندما يقع نظري عليه أشعر أن قلبي ينفر منه.

بارتينيا: ولكنه قد قصَّ شعره ولحيته الآن، فأصبح كسائر اليونانيين في شكله وملابسه.

أكتيا: نعم، إنه يوناني في زِيِّه وملبسه، ولكنه ما زال وحشيًّا في شكله ومشيته وصوته، وحشيًّا في نظراته التي يتجلى فيها احتقاره لقومنا ومواطنينا، وسيظل على هذه الطباع ما دام حيًّا.

بارتينيا: وهل في ذلك عيب، وقد نشأ في الغابات والجبال حرًّا شجاعًا قويًّا؟

أكتيا: إن شجاعته شجاعة وحشية، ألم تَرَيْهِ بالأمس في المصارعة، حين قذفَ بخصمه خارج الدائرة؟ أنسيت عندما رمى الكرة فكادت تصيب الحاكم؟

بارتينيا: وهل نسيت أيضًا أنه هو الذي قتل الذئب الذي كان يفتك بماشية المزرعة؟ أنسيت عندما هبَّت العواصف على الميناء، وعَلَتِ الأمواج كالجبال، وكان أحد الصيادين في قاربه يكافح هياج البحر، ويستغيث بالناس وقد أوشك على الغرق، فلم يستطع أحد مساعدته، فقذف أنجومار بنفسه إلى الماء، وهو يَهُدُّ الأمواج بساعديه هَدًّا، حتى أنقذ الصياد المسكين وأنقذ قاربه؟ أنسيت أنه هو الذي يشتغل الآن في المزرعة وفي المصنع، بَدَلَ أبي المسكين الذي بَيَّضَتِ الأيام شعره وأنهكَ الزمان قوته؟

أكتيا: على كل حال لا أستطيع أن أنكر أن أنجومار قد أفادنا، وأنه لا يخلو من صفاتٍ يُمْدَحُ عليها، ولكنه لا يحترمني. ومع ذلك فإني أكرر ما قلته، وهو أنه جاسوس خائن، وأقول له ذلك في وجهه، أين هو؟ (تنادي) أنجومار!

بارتينيا: ماذا تريدين أن تفعلي يا أمي؟ احترمي على الأقل واجبات الضيافة.

أكتيا: انتظري. (تنادي) أنجومار (لابنتها) سترين الآن كيف يرتعد ويضطرب عندما يعلم أني أعرف أنه خائن وجاسوس. أنجومار!

بارتينيا: إنك يا أماه لا تعرفين شيئًا عن تلك الروح الطاهرة، وذلك القلب النقي.

(يدخل أنجومار من خلف المسرح وهو بزي فلاح يوناني.)

أنجومار: مَن يناديني؟

أكتيا: ها! لقد أتيت أخيرًا بعد أن ناديتُك ثلاث مرات!

أنجومار: كنت أُغَنِّي وأجهِّز نفسي لألعاب المساء.

أكتيا: تغني؟ طبعًا! لأنه يَسُرُّكَ أن ترى أصحابك مرة أخرى.

أنجومار: أي أصحاب؟

أكتيا: لا تتجاهلِ الأمر وأنت تعرفه، ألا تعلم أن المتوحشين يحاصرون المدينة؟

أنجومار: أصحيح؟ إذن فقد خرجوا للأخذ بثأرهم من قبيلة أللُّوبروجي، وَمَرُّوا بهذه المدينة في طريقهم.

أكتيا: قبيلة أللُّوبروجي! حقًّا إنك لبريء طاهر، وليكن طريقهم ما يكون، إنما بعض الناس يظن أن طريقهم وطريقك واحد.

أنجومار: طريقهم وطريقي؟

أكتيا: نعم، ويقولون أيضًا إنك قد دخلت المدينة لتفتح أبوابها لقومك.

أنجومار (بغضب)**:** أنا؟ مَن قال ذلك؟

أكتيا: أنا، وأقوله في وجهك، فأنت جاسوس خائن! وأنت …

أنجومار (هاجمًا عليها)**:** ويلَكِ يا امرأة (يتراجع متألمًا) ولكن لا، لا لا، فأنت أمُّ بارتينيا فلا أجيبك بكلمة (يدخل إلى المنزل).

أكتيا: أرأيتِ الآن كيف يهزأ بغضبي، ولا يراه يستحق أن يبرئ نفسه أمامي؟

بارتينيا (تقترب من الباب وتنادي)**:** أنجومار!

أكتيا: لماذا تنادينه؟ أتريدين أن يواجهني ويهينني مرةً أخرى؟

بارتينيا: لا، بل أريد أن أسأله بعض الأسئلة.

أكتيا: لا أريد أن تسأليه شيئًا، إني أكاد أُجن من تصرفاتك! فأبوك يتهدد حياته الخطر، وها أنا ذاهبة إليه في المجلس، فامكثي هنا واسألي هذا الوحش ما تريدين أن تسأليه، وثقي به ما تشائين، أما أنا، فقد عرفته، ولن يستطيع بعد الآن أن يخدعني (تخرج من الشمال).

بارتينيا (تروح وتجيء)**:** لقد أخطاتِ يا أمي، أخطأتِ جدًّا! فوا أسفاه لك يا أنجومار! (ترى أنجومار ينزل دَرَج البيت متمهلًا فتشير إليه) تعالَ يا أنجومار، أتظن أنك احترمتَ أمي، حين وَلَّيْتَ لها ظهرك، وهي تكلمك، ولم تجاوبها؟

أنجومار: ألم تقولي لي من قبل إنه يجب عليَّ أن أنسحب إذا وجدتُ أُمَّكِ غَضْبَى بدون سبب؛ وذلك احترامًا لسنها؟ وقد فَعَلْتُ ذلك، فلم أجاوبها، ودخلت إلى المنزل صامتًا.

بارتينيا: ولكن كان في إمكانك أن تنفي التهمة عن نفسك بلطف، لا أن تتهيج وتغضب، ثم تخرج وتتركني وحدي أتحمل الآلام.

أنجومار: إني آسف جدًّا.

بارتينيا: ليس في إمكاني أن أجعلك تكترث لكلامي.

أنجومار: أكترث لكلامك؟ إني لا أفكر في شيء مثلما أفكر فيك وفيما تقولينه لي، سواء كنتُ في المزرعة أو في المصنع، حتى في النوم! ولكن يظهر أن كل شيء سيذهب عبثًا، وكلَّ دروسكِ لي ستضيع سدًى، وعلى ذلك فلن تحبيني.

بارتينيا: بالعكس، فإنك قد حَفِظْتَ شيئًا كثيرًا.

أنجومار: يا لَحَنِيني إلى غاباتي وموطني في الجبال! هنالك كان قلبي حرًّا، وتصرفاتي غير مقيدة، وأفكاري لا يحددها شيء. هنالك نشأت، وهذى طباعي، فلا أستطيع تغييرَها! ولكني لست أدري، ما الذي يجيش في صدري ويتجلى في نظراتي ويضيء في عينيَّ؟! أهو الحب أم البغض؟ أم السرور أم الحزن؟ إذن فَلأَبْقَ حرًّا ما دامت عواطفي لا تقبل القيد.

بارتينيا: ولن تكون إلَّا كذلك، ولا يرضيني أن تكون إلَّا كما أنت، شريف النفس، طاهر القلب. ولكن لا تنسى أن لكل شيء حدًّا وقيدًا؛ ولذلك ترى أن حرية النفس يجب أن يكون لها حَدٌّ وقيدٌ، وها أنت قد تعلمت شيئًا كثيرًا، فأصبحت تحترم القانون والنظام، لا تعترف بإله القوة ولا تمجِّده، وتحب قومي حبًّا خالصًا، فأنت الآن يوناني صميم. ومع ذلك ينقصك شيء من لين العريكة واللطف، وستناله قريبًا.

أنجومار: وعند ذلك يا بارتينيا، هل …

بارتينيا (ضاحكة)**:** قف عند هذا الحد؛ لأنك لم تتعلم بعد، ولا يُنتظر أن تتعلم بهذه السرعة.

أنجومار: آه! هذا ما تقولينه لي دائمًا، فإنك بدلًا من أن تشجعيني، أراك تُبعدين عني الغاية كلما اقتربتُ منها. ويظهر أنك قد تغيرت أيضًا؛ لأنك كنت قبلًا تشجعيني، وتستنهضين همتي، وتَقصِّين عليَّ الأقاصيص وتنشدين لي الأغاني، أما الآن فأراك بعيدة

عني، وعواطفك نحوي قد فَتَرَتْ. وعلى كل حال فإني قانع منك بالنظر إلى عينيك، وحسبي منكِ ذلك.

ميرون (في الخارج ينادي)**:** بارتينيا! بارتينيا! بارتينيا!

بارتينيا: اسْمَعْ! إن أبي ينادي (يدخل ميرون من الشمال وخلفه أكتيا).

ميرون: بارتينيا! أين أنجومار؟

أنجومار: ها أنا.

أكتيا (لزوجها)**:** ألا تقول لي الآن ما الخبر؟

ميرون: انتظري قليلًا حتى أستريح؛ لأنهم آتون هنا حالًا.

أكتيا: من؟ المتوحشون؟

ميرون: كلَّا يا غبية، بل سمو الحاكم وأتباعه.

أكتيا: آه! هذا ما قلته! إن أنجومار سيجلب علينا المصائب.

ميرون: كلامك فارغ دائمًا. إن أنجومار سيجلب لنا الفخر والاعتبار والشرف! ها هم قد أقبلوا (إلى أنجومار) أنجومار، استعدَّ الآن يا عزيزي؛ لأني سأستقبلهم (يذهب لاستقبال الحاكم).

أكتيا: الفخر والاعتبار! إن قلبي يخفق خفوقًا شديدًا.

(يدخل الحاكم وحاشيته فيستقبلهم ميرون بالانحناء.)

الحاكم: كفى كفى يا ميرون. أين ضيفك؟

ميرون: هنا يا مولاي، فهل تتنازلون سموكم بتشريف منزلي الحقير؟

الحاكم: كلَّا، بل نَادِهِ إلى هنا. (يشير ميرون إلى أنجومار فيتقدم. إلى أنجومار) هل أنت أنجومار يا صاحبي؟

أنجومار: نعم، هو كما تقول.

ميرون (إلى أنجومار على حِدَة)**:** قل: «سُموَّكم»، ألا تفهم؟

الحاكم: لقد علمنا أنك تريد أن تكون يونانيًّا؛ وبذلك تصبح من أهالي ماسيليا.

أنجومار: تلك رغبتي.

الحاكم: إن ماسيليا تمنحك هذه الرغبة، وزيادة على ذلك، تعطيك منزلًا تقيم فيه ومزرعة واسعة، وأن تتمتع بكل ما يتمتع به الأهالي.

أنجومار: كل ذلك لي أنا؟

بارتينيا: يا للآلهة!

ميرون (لزوجته)**:** أسمعت الآن يا امرأة؟

الحاكم: ليس ذلك فقط؛ لأننا علمنا أنك تحب هذه الفتاة، وسنعطيها ثلاثين أوقية من الفضة بصفته مَهرًا لها، ونزوجها لك.

أنجومار: بارتينيا!

الحاكم: إنما نشترط عليك أن تُثبت لنا بأجلى برهان أن مصلحة ماسيليا هي أقدس واجباتك، فماذا تفعل لتثبت لنا ذلك؟

أنجومار: ماذا أفعل؟ إني لا أجد شيئًا يستحيل عليَّ فعله! وإذا أردتم، فإني أنزع النجوم من أبراجها، والأَرضَ من محورها! إني لأكاد أُجَنُّ، ولا أرى شيئًا مستحيلًا.

الحاكم: ألم يبلغك الخبر، إن المتوحشين يحاصرون المدينة؟

أنجومار: لقد أخطأت؛ لأنهم لا يقصدون المدينة بسوء، ولكنهم مَرُّوا بها في طريقهم لمحاربة قبيلة أللُّوبروجي.

الحاكم: فليكن قصدهم ما يكون، إنما ماسيليا ترى هؤلاء القوم أعداءً لها، (يأخذ أنجومار إلى ناحية) وإنك تعرفهم، ويمكنك أن تدخل خيامهم، كأنك تريد أن ترى أصحابك منهم، وتسألهم عن وطنك وبلادك، فتستطلع قوتهم واستعدادهم وكلمةَ سرهم، ونظام جموعِهم، وفي المساء تعود إلينا لتتولى قيادة جندنا إلى النصر والظفر.

أنجومار (بغضب شديد)**:** آه (بارتينيا تهدِّئ رَوْعَهُ).

الحاكم: ماذا تقول؟

أنجومار: أأخون بني وطني وأخدعُهم! أأخون مَن يأتمنني وأقتله في نومه بسيف الغدر وخنجر الخيانة! أأخون مَن يتكلمون لغتي وكانوا من قبلُ إخواني؟!

الحاكم: : فَكِّر في المكافأة: بارتينيا، والشرف والمال.

أنجومار: خُذْ ما منحت! وخُذْ بارتينيا أيضًا؛ فإنها أعز شيء عليَّ في الدنيا، بل هي قلبي وحياتي، ومع ذلك خُذْها؛ لأنها لو عُرِضَتْ عليَّ ومعها سعادةُ العالم كلُّها، لرفضتُها ورفضتُ ما حَمَلَتْ، ولا أدفع ثمنها خيانةً وغدرًا ومذلةً وعارًا!

الحاكم: ألا تريد أن تكون يونانيًّا؟

أنجومار: كنت أريد ذلك قبل ما كنت أعلم أنكم خونة، فهجرت قومي وعشيرتي وبلادي راغبًا في الإقامة معكم، ولو كنتم دعوتموني إلى القتال الشريف، لسبقتكم إلى ساحاته، وحاربتُ إلى جانبكم بمنتهى الإخلاص والشهامة (باحتقار) ولكن سيوف المدنية ليست إلَّا سيوف غدرٍ وخيانةٍ وجبن، وهذه أمور أجهلها وما تعلمتها قط! فاذهب! اذهب؛ لأننا لا نفهم بعضنا، فأنت متمدن مهذب، وأنا رجل وحشي. اذهب!

الحاكم: اكْفُفْ لسانك الزَّلق، فقد منحناك ساعة واحدة للتفكير في الأمر، فإما أن تقبل، وإما أن نُطَهِّرَ المدينة من أنفاسك النجسة، فاختر لنفسك ما يحلو! وأنت يا ميرون، إذا آويتَ هذا الرجل في منزلك أو صَاحَبْتَه، فإن حياتك في خطر (لأتباعه) هلمُّوا إلى المجلس (يخرج الحاكم وأتباعه).

أكتيا: مَنِ المخطئ فينا الآن؟ إن الشرف الذي جلبه إليك هو تهديد حياتك.

ميرون: لا لا، كفى، فقد قطعت علاقاتي معه نهائيًّا (إلى أنجومار) اخرجْ من هنا، ابتعد عنَّا، فإني أُغلق باب بيتي في وجهك؛ لأني وطنيٌّ صميم، ادخلي المنزل يا بارتينيا.

أنجومار: ميرون!

ميرون (لزوجته وابنته): ادخلي المنزل يا امرأتي، ادخلي يا ابنتي (تدخلان المنزل).

أنجومار: كلمةً واحدة.

ميرون: ولا نصف كلمة! ألم تَرَ الخطر الذي يتهددني بسببك؟ ومع ذلك فلا أنكر فضلك، وأشكرك عليه كثيرًا، ولو كان لي رأسان، لخاطرت برأس منهما في سبيلك، ولكن للأسف لا أملك إلَّا رأسًا واحدًا، فاذهب عنَّا، اذهب اذهب (بصوت عالٍ) فأنا رجلٌ أحب بلادي (يدخل منزله ويغلق الباب خلفه).

أنجومار: لقد قُضي الأمر، وضاعت آمالي، ولن أرى وجهها بعد اليوم، أو أسمع صوتها. ولم يبقَ في الإقامة هنا خير أو فائدة، فهيَّا هيَّا، وليُغْلِقُوا عليَّ أبواب نذالتهم، فإمَّا أن أموت، أو أَشُقَّ لي طريقًا بين سيوفهم (يهم بالخروج، بارتينيا تنسلُّ من منزلها بدون أن يراها خلال عبارته الأخيرة).

بارتينيا: أنجومار، هل أنت راحل عنَّا؟

أنجومار: وهل ترتابين في ذلك؟

بارتينيا: وإلى أين تذهب؟

أنجومار: لا تسأليني عن مقصدي؛ إذ ليس لي إلَّا طريقان، طريق إلى السماء حيث تقيمين، وليس لي إليه سبيل، والطريق الآخر إلى الصحاري والقفار حيث أُحْرَمُ من رؤياك إلى الأبد، فأنا ذاهب إلى حيث وُلدتُ ونشأتُ، ذاهب إلى موطني في الجبال، ذاهب إلى غاباتي وأحراشي التي أرضعتني لُبان الصدق والشهامة، وأورثتني الشمم والإباء، ذاهب إلى حيث أحرص على ما رَضعْتُ، وأُبْقِي على ما ورثتُ، ذاهب عنك ولو أن قلبي يكاد ينفجر!

بارتينيا: وهل أنت مصمم على تَركي؟

أنجومار: أتريدين أن أبقى لِأُضَيِّعَ كرامتي وأَفْقِدَ شرفي؟ حسبك يا بارتينيا، إني راحل عنك، وصورتك خالدة في ذهني! فالوداع يا بارتينيا.

بارتينيا: لم يَحُنِ الوداعُ فصبرًا.

أنجومار: خيرٌ لي أن أموت مرةً واحدة، من أن أموت أَلْفَ مرة، فالوداع!

بارتينيا: لقد نسيتَ سيفَك الذي أَعطيتَه لأبي، عندما دخلتَ منزِلَنا.

أنجومار: لا حاجة لي به، فقد انتزعه الأمل من يدي، والآن ... والآن ...

بارتينيا: ها هو سيفك، أَردُّه إليك لامعًا كما سَلَّمْتَه لنا (يتقدم نحوها ليأخذه) لا لا، فأنا التي أحمل سيفك.

أنجومار: أنت يا بارتينيا!

بارتينيا: لقد حملتُ معه درعك وحربتَكَ من قبل، فلماذا لا أحمله لك الآن؟

أنجومار: إذَنْ ... كَفَى، يجب أن نفترق هنا.

بارتينيا: لا لا، يجب أن أحمل لك سيفك يا أنجومار.

أنجومار: أتحملينه إلى آخر هذا الشارع؟

بارتينيا: بل إلى البوابة، بل إلى أبعد من ذلك، إلى شاطئ البحر، بل إلى الجبال والوديان، إلى مشارق الأرض ومغاربها، بل إلى حيث تذهب إلى حيث تريد، سأكون معك وإلى جانبك، ما دام قلبي يخفق والدماء تجري في عروقي!

أنجومار: أنتِ يا بارتينيا؟ ...

بارتينيا: نعم، سأكون معك، ولن أفارقَك (ترمي السيف وتضم أنجومار) فطريقُك طريقي، وحظُّك حظي، وحيث تريد الإقامة فهنالك أُقيم، واللغة التي تتكلمها أَتعلَّمُها وأتكلَّمُها، وما يسرك يسرني، وما يُحزنك يؤلمني، فأنا لك أنت، ولن يُفرِّقَنَا بعد اليوم شيء!

أنجومار: هل أنا في حلم؟ إنك لتهزئين بقلبي! أَنتِ تحبينني؟ أنت ابنةُ ماسيليا تحبينني أنا! أنا الغريب المتوحش؟!

بارتينيا: لا تقل هذه الكلمة مرةً أخرى؛ لأننا لا نُقَاسُ بنُبلِك وشرفك! فيا للآلهة حين وقفوا أَمامَك مطرقين خجلًا، وأنت الذي أتيتَ إلينا، لتأخذ عنَّا الحضارة والنظام، فَعَلَّمْتَنَا ما يفيض به قلبك من أقدس العواطف، علمتنا الصدق والشرف والشهامة. فيا لجلال موقفك فيهم، عندما ضحيتَ الحياة وما حوته من الآمال، لأجل الواجب وحده! ويا لخجلي منك يا سيدي؛ إذ ظننتُ أني سأعلِّمك شيئًا! فسامحني، سامحني واغفر لي ذنبي.

أنجومار: أنتِ لي يا بارتينيا! أنتِ لي!

بارتينيا: بل كنتُ لكَ من قبلُ، منذ ذلك اليوم الذي عَرَفْتُ فيه البكاءَ والخوف، بل منذ ذلك اليوم الذي سقَطَ فيه سيفك من يدك بعد أن هَدَّدْتَ به حياتي. نعم، منذ ذلك اليوم أحببتك، وكلما كان الحياء يمنعني عن إظهار حبي، كلما ازداد حُبُّكَ في قلبي! لقد ظلمتك بكبريائي، وظلمتُ نفسي، والآن أجني عاقبة بَغْيِي، فأتوسل إليك بإرادة الهوى، خاضعةً ذليلة صاغرة أن تجعلني زوجتك، بل خادمتَك وأسيرَتَك، فأركع في التراب على قدميك (تكاد تركع على ركبتيها فيمنعها أنجومار ويضمها إلى صدره).

أنجومار: على قدميَّ! أسيرتي؟! لا لا، فلنكن فرعين لشجرة مباركة، يَسْمُوَانِ إلى السماء، فنحن كما كنت تقولين:

رُوحان من عالم الأرواح طارا لغاية　　　وقلبان يضطربان كالفلك في البحر

(يخرج إلى المسرح ميرون وزوجته أكتيا من منزلهما.)

ميرون: ما الذي أرى؟ ادخلي البيتَ يا شقية!

بارتينيا: لا أدخله إلَّا مع أنجومار.

ميرون: ألم تسمعي تهديد الحاكم؟ ألم تسمعي العقوبة؟ (إلى أنجومار) اخرج من هنا.

أنجومار: لا أخرج بدونها؛ لأنها لي أنا، بل لي إلى الأبد.

(يدخل بوليدور من الشمال ومعه اثنان من اليونان.)

بوليدور (إلى أنجومار)**:** أظنك تستطيع دفع قيمة هذه الوثائق؟ مائتا دراخمة تقريبًا، وإذا شئت الدقة في الحساب، فإني أطالبك بمائتين وثلاثة عشر دراخمة.

أنجومار: ماذا تقول يا رجل، وهل أنا مدين لك بشيء؟

بوليدور: لا لا، ولكن ميرون مدين لي بهذا المبلغ، ويجب عليه أن يدفعه لآخر دراخمة.

ميرون (إلى بوليدور)**:** لستُ مدينًا لك بشيء يا سيدي.

بوليدور: مائتان وثلاثة عشر دراخمة، فلا تتكلم كثيرًا.

ميرون: إني حقيقةً مدين بنحو هذا المبلغ، ولكْن لجملة أشخاص.

بوليدور: كل هذا المبلغ لي أنا؛ لأني اشتريتُ ديونك منهم، وأصبحتُ الآن دائنك الوحيد، فادفع لي الدَّين في الحال.

ميرون: لا أستطيع.

بوليدور: إذن فأقبض عليك؛ إذ أصبحتَ عبدي الرقيق، أنت وزوجتُك وابنتك، كلكم عبيدي الأرقاء، وسأبيعك وأبيع زوجتك. أما هذه الفتاة الملعونة، فسأبقيها في قبضتي (يهجم عليه أنجومار ويقبض على عنقه).

أنجومار: أيها الكلب الوقح! اركع على قدميها واسألها المعذرة والرحمة.

بوليدور: النجدة يا قومي!

بارتينيا (إلى أنجومار)**:** دعه يا أنجومار، دعه فإنه مُحِقٌّ في قوله، والقانون يحكم له بذلك.

أنجومار: أيحكم القانون بأن تكوني أسيرته!

بارتينيا: نعم، وا أسفاه! فأطْلِق سراحه.

أنجومار: أُخْلِي سبيلك طوعًا لأمرها، وإلَّا سحقتك تحت قدميَّ، فما الذي تريده الآن؟

بوليدور: مائتان وثلاثة عشر دراخمة، ولا أتنازل منها عن شيء.

أنجومار: ولكنهم لا يملكون هذا المبلغ يا رجل.

بوليدور: إلَّا أنهم يملكون أنفسهم، وأنا لا أفرِّط في مالي.

أكتيا (إلى بوليدور)**:** إن بارتينيا ستتزوجك.

بوليدور: لا أريدها، بل أريد أموالي، وإلَّا فأنتم عبيدي.

أنجومار: قل لي: هل أنت مصمم على طلبك؟

بوليدور: كل التصميم، فإما أن أُوَفَّ دَيني ذهبًا أو أجسامًا.

أنجومار: ألا تتزعزع؟

بوليدور: مالي أو عبيدي.

أنجومار: انتظر …

بوليدور: ولا لحظة، هلمُّوا أيها العبيد.

أنجومار: مهلًا! أنت تريد ما يعادل في قيمته مائتا دراخمة؟

بوليدور: وثلاثة عشر، ولا أتنازل عن شيء مطلقًا.

أنجومار: سأعطيك رقيقًا يعادل كلَّ ما تملك من المال.

بوليدور: أين هو؟

أنجومار: هنا.

بوليدور: مَن هو؟

أنجومار: أنا!

بارتينيا: لا لا! لا تسمع كلامه، فهو مجنون لا يعرف شيئًا!

أنجومار: أَوَكنتِ مجنونةً عندما قدمتِ نفسَكِ رهينةً لمن تحبين؟! فَكِّري في ذلك (يشير إلى والدها) خذني يا رجل، فإني أسيرك.

بوليدور: آخُذُك! آآخذ شيطانًا إلى بيتي؟!

أنجومار: حَذَارِ أن تَضَعَ أُصبعًا عليها أو على أهلها، وإلا علمتك كيف تكون الحياةُ مع عدوك أنجومار. واعلم بأنك معي دائمًا وعيني لا تغفل عنك، فأنا عدوك اللدود، ويدي تنالك ولو كنت في أبراج مشيَّدة تحرسها المدينة كلها.

بوليدور: عفوًا عفوًا، فقد قبلتُ رأيك (لنفسه على حِدة) سأنتقم منه بالسياط والأغلال!

أنجومار (يخطف الأوراق من يده)**:** إذن أعطني هذه الوثائق (إلى ميرون) أنت حر الآن يا ميرون، كلكم أحرار!

بارتينيا (ترمي نفسها في أحضان أنجومار)**:** يا للتعاسة والشقاء!

أنجومار (إلى بوليدور)**:** اسمع الآن أيها الشيخ، لقد وَفَيْتَ بوعدِك مضطرًا، أما أنا، فأفي بوعدي مختارًا، وسأخدمك بإخلاصٍ وصدق (إلى بارتينيا) لا تبكِ يا بارتينيا، ولا تَتَشَبَّثي بي كذلك؛ لأني لا أجد في كل ما أَوْلَيتنيه من السرور ما ترتاح إليه نفسي مثل سرور اليوم؛ لأنه أطهر وأقدس، والعبودية التي تمنحك الحرية لهي في نظري أجمل عزاءٍ، وهي أحب إلى نفسي من كل حرية.

بوليدور: يجب أن أُجَرِّبكَ لأتحقق صدق قولك، فتعالَ هنا أيها العبد (ينظر إلى الخارج جهة اليمين) ما الذي أرى؟ الأعداء المتوحشين (يُسمع صوت صياح وغوغاء في الخارج) خيانة خيانة! ضاعت المدينة وضاعت أموالي!

أنجومار (ينظر إلى اليمين)**:** صهٍ يا غبي! ألا تراهم يحملون أغصانًا خضراء؟ إنهم رسل الطمأنينة والسلام.

(يدخل الحاكم وحاشيته ومعه أَلَسْتور ونوفيو وبعض المتوحشين يحملون أغصانًا خضراء.)

الحاكم: ها هو الرجل الذي تبحثون عنه!

أَلَسْتور: أنجومار (يسرع إليهم أنجومار ويحييهم).

أنجومار: نوفيو، لماذا أتيتم؟

أَلَسْتور: أُشيع عندنا أن أحد رجالِنا أسيرٌ في هذه المدينة، ولما كنا في طريقنا لمقابلة قبيلة أَللُّوبروجي، فضَّلنا أن نقف هنا قليلًا، لنرى مبلغ الإشاعة من الصحة والحقيقة.

الحاكم: ها أنتم ترونه حُرًّا طليقًا.

أَلَسْتور: بل هو يتكلم عن نفسه، تكلم يا أنجومار، تكلم يا فخر قبيلتنا وفخر الجبال، إذا كنتَ في هذه المدينة أسيرًا فإن رجالنا محيطة بالأسوار، مستعدون لِدَكِّها دَكًّا وتحريرك عنوة، فقل لنا: هل أنت حرٌّ طليق؟

أنجومار (بهدوء)**:** لا.

أَلَسْتور: إذن فكيف أنت؟

أنجومار (مبتسمًا)**:** إني هنا أسير.

أَلَسْتور: ويلٌ لهذه المدينة منا، سنجعل عاليها سافلها، ونقضي عليها القضاء الأخير، فإلى السيف، إلى السيف!

أنجومار: لا لا، لا تهيِّجِ الرجال، أتظنون أن أنجومار يقع في الأسر إلَّا بإرادته؟

أَلَسْتور: إذن فأين ذلك الزعيم القادر الذي استأسرك؟ أريد أن أراه! أين هو؟

أنجومار (مشيرًا بيده إلى بوليدور الذي انسلَّ إلى أحد الأركان)**:** ها هو هناك.

أَلَسْتور: أهو هذا الرجل (يرفع بلطته فوق رأس بوليدور).

بوليدور: النجدة! ارحمني بحق الآلهة! أغيثوني!

الحاكم (يتقدم بعد أن كان يتكلم مع ميرون على حِدَة)، (إلى أنجومار)**:** أيها الشهم الشريف، لقد رُدَّتْ عليك حريتك.

أنجومار: كلَّا أيها الحاكم، إن شرفي يقضي عليَّ بأن أكون أسير ذلك الرجل كما اتفقت معه، وإني لست ممن يخفرون الذمم أو ينكثون بالعهود، إنما من أراد أن يُطْلِقَ حرية أنجومار فليدفعْ فِدْيتَه.

الحاكم: نحن ندفعها (إلى أتباعه) اصرفوا مقدار الفدية من خزانتنا، وهذا هو عين العدل الذي يقضي أيضًا بأن يجمع هذا الرجل متاعه وحوائجه (مشيرًا إلى بوليدور) وأن يُطْرَدَ من هذه المدينة؛ لأنه سُبَّةُ ماسيليا وعارها.

بوليدور: الرحمة يا سمو الحاكم الأعظم، إن المتوحشين يحيطون بالمدينة، فيسلبون مالي ومتاعي.

الحاكم (إلى بوليدور)**:** هذا يعنيك وحدك، ولا شأن لنا فيه (إلى أتباعه) فَلْيُنَفَّذْ أمرنا! اخرجوا به. (الأتباع يسحبون بوليدور ويخرجون به)، (إلى أنجومار) أيها الشريف أنجومار، ما دام قومُك يحملون مثل قلبك الطاهر ونفسك الأبية الحرة، فإنهم جديرون بأن يكونوا أصدقاء ماسِّيليا وحلفاءَها البَرَرَة! وإنك تذكر أننا عرضنا عليك منذ لحظة منزلًا ومزرعة وهذه الفتاة اليونانية لتكون زوجةً لك.

أَلَسْتور: الفتاة اليونانية! إذن فقد خسرنا زعيمنا، فالوداع، ولْتَهْنَئي بالأمن والسِّلْم يا ماسيليا!

الحاكم: إننا نطلب ما هو أكثر من الأمن والسلم، نطلب صحبتكم وصداقتكم، نطلب أن نكون وأنتم إخوانًا، نطلب منكم أن تُنْشِئوا لكم مدينة بجوار مدينتنا، ويكون أنجومار حاكمًا عليها!

الجميع (يصيحون هاتفين)**:** لِتحيا ماسيليا وليحيا أنجومار!

ميرون (لزوجته)**:** أسمعت يا امرأة؟ لقد أصبحتُ حَمَا حاكمٍ عظيم (إلى أنجومار) فلتهنأ يا سمو الحاكم، أَلَا تقول لي كلمة؟

أنجومار: دعني الآن يا ميرون، فإن رأسي المضطرب لا يتحمل التفكير إلَّا في شيء واحد، وهو أن بارتينيا أصبحت لي إلى الأبد (يضمها إلى صدره) وإني لمدين إلى الحب بهذا السرور وهذه النعم.

بارتينيا: بل إلى الحب والشرف.

أنجومار: لقد ارتبطنا الآن برابطةٍ لا انفصام لها.

روحان من عالم الأرواح طارا لغاية وقلبان يضطربان كالفلك في البحر

انتهت الرواية في الساعة السادسة وثلث من مساء يوم الإثنين ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٣٥ / ٥ فبراير سنة ١٩١٧م.

ولله الحمد والشكر على آلائه.

آمين آمين يا رب العالمين.